المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
(معهد الدوحة)

www.dohainstitute.org

دراسة

هجرة العمالة من المغرب إلى أوروبا

هولندا نموذجا: دراسة تحليلية مقارنة

د. هاشم نعمة فياض

الدوحة، كانون الأول/ ديسمبر – ٢٠١١

سلسلة (دراسات وأوراق بحثية)

حقوق النشر والطبع محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © ٢٠١١

المحتوى

هجرة العمالة من المغرب إلى أوروبا .....

هولندا نموذجا: دراسة تحليلية مقارنة .....

مقدّمة..... ..... ١

تطوّر هجرة العمالة من بلدان المغرب العربيّ..... ٨

أسباب الهجرة ٢٤

تطوّر هجرة العمالة المغربيّة إلى هولندا..... ٢٩

التّوزيع الجغرافيّ للمهاجرين في هولندا..... ٣٤

البنية العمريّة والجنسيّة ٣٥

الوفيات ٤٤

الاندماج في المجتمع الهولنديّ ٦١

تصاعد العنصريّة يحدّ من عمليّة الاندماج..... ٦٥

التّحويلات والتّنمية الاجتماعيّة- الاقتصاديّة..... ٧٠

سياسات الهجرة ٧٨

الخلاصة ٨١

مقدّمة

فرضت ظاهرة الهجرة الدوليّة وعلاقتها بالتّنمية نفسها على المستوى الأكاديميّ ومستوى معاهد الأبحاث والمنظّمات المتخصّصة، وذلك، بسبب اتّساع هذه الظاهرة، وزيادة تأثيراتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة المتشابكة، والمؤثّرة في المستوى المحلّي والإقليميّ والعالميّ. إنّ تأثيرات الهجرة في الأشخاص والمجتمعات والدّول عميقة ومتعدّدة الأشكال، وأغلب هذه التّأثيرات مرتبط بعمليّة التّنمية، إمّا بشكلٍ مباشر أو بشكلٍ غير مباشر. ومن هنا، تأتي أهمّية البحث المعمّق لتحليل آليّات عمل العلاقة بين الهجرة والتّنمية.

لقد شكّل النّقاش رفيع المستوى حول الهجرة الدوليّة والتّنمية على صعيد الأمم المتّحدة، تأكيدًا تاريخيًّا على العلاقة الواضحة بينهما. كذلك، فإنّ الفرص المختلفة والتحدّيات المتعلّقة بهذا الموضوع، وخاصّةً السياسيّة منها، قد تؤسّس لمشاركة فعّالة لتحقيق قدر أكبر من المنفعة للهجرة، بغية تطوير كلٍّ من بلدان الأصل والاستقبال وحماية حقوق المهاجرين[١]. ومن هنا، يتحتّم إيلاء هذا الموضوع ما يستحقّه من اهتمام، واقتناص هذه الفرصة من قبل الدّول النّامية وبالأخصّ العربيّة منها ليكون مردود الهجرة أكبر من خسائرها.

ومن ناحية بلدان المغرب العربيّ[٢]، تكتسي دراسة هجرة العمالة أهمّية كبيرة ومتزايدة نظرًا لتاريخها الطّويل وحجمها الكبير، ولدورها المتزايد من النّاحية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافية وحتّى السياسيّة في بلدان الأصل والاستقبال.

ولكن، يلاحظ أنّ هذا الموضوع لم يلق الاهتمام البحثيّ الكافي في البلدان العربيّة، التي تشترك في هذه الظّاهرة، ومنها بلدان المغرب العربيّ. وهذا يعود لعدّة أسباب، منها ضعف مؤسّسات البحث العلميّ عمومًا، والمعنيّة بالهجرة خصوصًا، وقلّة توثيق معطياتها وقلّة الشّفافيّة في بحثها. ونظرًا لقلّة أو ندرة الدّراسات والبحوث الأكاديميّة المعمّقة التي تعالج الموضوع – وعلى مستوى هولندا تحديدًا – ارتأينا أنّه من المفيد البحث في هذا الموضوع. وقد اتّبعنا منهج التّحليل الإحصائيّ المقارن؛ من أجل الوصول إلى نتائج ذات قيمة علميّة، يمكن الرّكون إليها في الدّراسات والأبحاث الأكاديميّة.

---

[1] Philip Martin et al, "High-Level Dialogue on Migration and Development", *International Migration*, Vol. 45 (1) 2007, p. 8.

[٢] نعني في هذه الدراسة بلدان المغرب العربي الثلاث: المغرب والجزائر وتونس على اعتبار أن هذه البلدان تشترك في ميزات تاريخية وثقافية، منها خضوعها للاستعمار الفرنسي واشتراكها بقوة في هجرة العمالة إلى أوروبا وبالأخصّ نحو فرنسا، وهذا لا يعني استثناء ليبيا وموريتانيا من بلدان المغرب العربي الكبير.

أهداف الدّراسة

تهدف الدّراسة إلى تحليل سياسات هجرة المغاربة إلى أوروبا، وتحليل ومقارنة حجم وطبيعة جاليتهم مع الجاليات المهاجرة الكبيرة والصّغيرة، متّخذةً من هولندا نموذجًا، نظرًا لتزايد ثقل المهاجرين القادمين من البلدان العربيّة فيها من الناحية الديمغرافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة؛ وخصوصًا المهاجرين المغاربة منهم، حيث يركّز البحث على دراسة تطوّر حركتهم الاجتماعية عبر الزمن ونمط توزيعهم الجغرافيّ وبنيتهم العمريّة والنوعيّة، وتطوّر مستوى الخصوبة ومعدّل الوفيات، والبنية العائليّة والتّعليم والبنية المهنيّة، والاندماج في المجتمع الهولنديّ، والتّحويلات الماليّة التي يقومون بها. وسيتمّ التّركيز على العلاقة المتبادلة بين الهجرة والتّنمية الاجتماعيّة– الاقتصاديّة، وبالأخصّ انعكاساتها على بلدان الأصل.

فرضيّات البحث

تتركّز فرضيّات البحث في النّقاط الأساسيّة التّالية:

- ارتبطت هجرة العمالة بشكل وثيق باستعمار بلدان المغرب العربيّ، واستمرّت حتّى بعد حصول هذه البلدان على استقلالها وبالأخصّ في حالة المغرب.

- يشكّل ضعف التّنمية الاجتماعيّة–الاقتصاديّة العامل الحاسم في توسّع ظاهرة الهجرة.

- تزايد عدد المهاجرين على الرّغم من الإجراءات التي اتّخذتها الدّول المستقبلة للحدّ من دخولهم.

- توجد تباينات في البنية العمريّة والنوعيّة، ومعدّل الخصوبة والوفيات والبنية العائليّة والتّعليم والبنية المهنيّة بين المهاجرين المغاربة والمهاجرين الآخرين والهولنديّين الأصليّين، لكن التّباينات هي أكبر مع المجموعة الأخيرة، ومع مرور الوقت تتقلّص فجوة التّباين.

- لتحويلات المهاجرين تأثيرات متشعّبة في البنية الاقتصاديّة والاجتماعيّة لبلدان الأصل، لكنّها لا تزال غير مستثمرة بشكل فعّال للمساهمة في التّنمية.

- ظلّت العمالة المهاجرة المغربيّة ترتبط بعلاقات قويّة اجتماعيّة واقتصاديّة وثقافيّة مع المغرب.

مصادر البحث

من الصّعوبات التي تواجه الباحث أثناء قيامه بدراسة الهجرة من بلدان المغرب العربيّ ندرة المعطيات الإحصائيّة المتعلّقة بالهجرة في هذه البلدان حتّى من الناحية الكمّية. أمّا في البلدان الأوروبيّة المستقبلة للعمالة المهاجرة، فإنّ المعطيات المتوفّرة تزيد الباحث إرباكًا، وذلك لأنّها لا تنطبق مع الواقع الفعليّ لحجم العمالة المهاجرة وطبيعتها وتطوّرها. ويعود ذلك إلى أسباب منها الحرّية التي يتمتّع بها العمّال المهاجرون في التنقّل من مكانٍ إلى آخر ومن عملٍ إلى آخر.

ويشكّل الغموض الذي يكتنف مفهوم العامل المهاجر صعوبةً أخرى أمام الباحث، فعلى الرّغم من المحاولات التي بذلها بعض الباحثين للتّعامل مع المعطيات المتعلّقة بالعمّال المهاجرين بفصلها عن بعضها البعض، إلا أنّهم سرعان ما واجهوا عقبات تتمثّل في امتزاج البيانات الإحصائيّة لهؤلاء مع تلك العائدة لأسر العمّال المهاجرين، لتذوب في النهاية في أعداد الجاليات الأجنبيّة. ومن الصّعوبات الأخرى التي تعترض الباحث هي تمييز العامل المهاجر الذي يريد الإقامة بصفة دائمة، عن العامل الذي ينوي البقاء فترةً معيّنة، عن العامل الموسميّ الذي يرتبط بالعمل في موسم معيّن (مثل الطّلبة الذين يدرسون ويعملون). وكذلك يصعب تمييز الأشخاص الذين غادروا أوطانهم لأسبابٍ أخرى كالأسباب السياسيّة مثلًا. وممّا تقدّم يبدو من الصّعوبة بمكان، رسم لوحة دقيقة عن حجم وطبيعة وتطوّر اتّجاهات العمالة المهاجرة من المغرب العربيّ إلى أوروبا[٣].

ويلاحظ في الآونة الأخيرة تزايد الطّلب على الإحصاءات ذات الجودة العالية التي تخصّ الهجرة، لكن الإلمام بالتعاريف الواضحة في هذا المجال؛ والتّرتيبات القانونيّة؛ ومصادر البيانات؛ والأنظمة المعمول بها لجمع البيانات داخل البلدان وفيما بينها؛ تمثّل جميعها تحدّيًا لكلّ من البلدان المرسلة والمستقبلة للهجرة الدوليّة.
فقد يختلف تعريف الأمم المتّحدة للمهاجر الدوليّ عن تعريف كلّ بلد، مثلما يختلف عن تعريف كلّ وكالة تأخذ على عاتقها جمع البيانات، إضافةً إلى تنوّع المصادر واختلاف الأهداف من وراء جمع البيانات في كلّ مصدر. فقد تكون أهداف الجامع إداريّة أو لاستيفاء حاجات سياسيّة معيّنة، وليس بالضّرورة أن تكون متعلّقة بإحصاءات الهجرة الدوليّة[٤].

---

[٣] - هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، (ليبيا: مركز البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٩٢)، ص ١٠١-١٠٢.

[٤] - الأمم المتحدة، "تقرير ورشة عمل إقليمية حول إحصاءات الهجرة الدولية"، (القاهرة، ٣٠ حزيران (يونيو) – ٣ تموز/يوليو، (٢٠٠٩). ص ٨.
ونظرا لأهمية الهجرة الدولية باعتبارها أحد العوامل الرئيسة التي تؤثر في تركيب السكان وتلعب دورا رئيسا في التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العالم. ستعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠١٣ حوارًا آخر رفيع المستوى بشأن الهجرة الدولية والتنمية. وفي هذا الصدد شجّع

وعلى صعيد حركة الكفاءات العربيّة ومنها كفاءات بلدان المغرب العربيّ، حدثت تطوّرات كبيرة خلال العقود الثّلاثة الماضية، إلا أنّ العثور على معطيات موثوقة بشأنها لا يزال صعبًا للغاية. ولم تتحقّق حتّى الآن مشاريع عدّة؛ سبق أن أعلن عنها أكثر من مؤتمر ومنظّمة عربيّة ودوليّة بما فيها جامعة الدّول العربيّة، لإجراء مسحٍ إحصائيّ للعقول المهاجرة. ولم يعمد أيّ بلد عربيّ إلى إحصاء عدد مهاجريه، وفق درجات التّعليم والكفاءات[٥].

ويعاني من النّقص نفسه أوسع عمل بحثيّ دوليّ حول المغتربين العرب، وهو برنامج إعادة المهاجرين من المغرب العربيّ (MIREM)، الذي تشارك فيه دول الاتّحاد الأوروبيّ، وبلدان المغرب العربيّ الثّلاث: الجزائر وتونس والمغرب، ويدعمه الاتّحاد الأوروبيّ والمعهد الجامعيّ الأوروبيّ، ويستضيفه مركز روبرت شومان للدّراسات المتقدّمة في فلورنسا في إيطاليا، وتشارك فيه أجهزة الإحصاء ومراكز الدّراسات السكانيّة في الجزائر وتونس والمغرب، فإحصاءاته وجداوله لا تتضمّن على كثرتها، سوى معلومات شحيحة تميّز بين الراغبين في العودة أو المضطرّين إليها، وبين الحاصلين على التّعليم الجامعيّ الأوّلي والماجستير والدّكتوراه[٦].

ومن هنا يعتمد بحثنا في مصادره ومراجعه، بشكل أساسيّ، على آخر ما نشره عن الموضوع معهد الإحصاء المركزيّ الهولنديّ، وما نشر من قبل المنظّمات الدولية وبالأخصّ الأمم المتّحدة والمنظّمات الأوروبيّة والإقليميّة والعربيّة والعالميّة الأخرى، وعلى الدّوريّات الأكاديميّة العالميّة والعربيّة والكتب والتّقارير والنّشرات الصّادرة باللغة العربيّة والإنكليزيّة والهولنديّة.

الدّراسات السّابقة

من الدّراسات المهمّة التي عالجت هجرة العمالة من المغرب العربيّ بهذا القدر أو ذاك، كتاب "المغرب: الإمبرياليّة والهجرة" لمؤلّفه د. عبد الله البارودي، الصّادر عام ١٩٧٩، والمترجم عن اللّغة الفرنسيّة. ويحلّل الكاتب بشيء من التّفصيل تاريخ الهجرة المغربيّة إلى فرنسا وارتباطها بمرحلة الاستعمار والهجرة والإمبرياليّة،

الحوار الرفيع المستوى للأمم المتحدة عام ٢٠٠٦ حول الهجرة الدولية البلدان الأعضاء على إعادة النظر في السياسات والإستراتيجيات المتعلقة بجمع بيانات الهجرة الدولية لضمان إنتاج إحصاءات تلبي المعايير الدولية بحلول عام ٢٠١٣ حسب نفس المصدر.

[٥] - محمد عارف، "حركة الكفاءات العربية، الإقليمية والدولية"، **مجلة المستقبل العربي**، العدد ٣٧٧ تموز / يوليو، (٢٠١٠). ص ٤١.

[٦] - المصدر السابق، ص ٤٣.

وتأثيرات الهجرة الخارجيّة ونتائجها في المجال الاقتصاديّ المغربيّ، والمميّزات الرّئيسة لهجرة المغاربة إلى فرنسا، والبنية المهنيّة للعمالة المغربيّة والمشكلات التي تواجهها.

ويركّز أحد فصول كتاب "أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانيّة"، للدّكتور هاشم نعمة فياض، والذي صدر عام ١٩٩٢، على دراسة الهجرة من المغرب العربيّ إلى أوروبا، وتحليل سماتها وبنيتها المهنيّة ومشكلاتها في غرب أوروبا، وأضرارها ومنافعها، ويتابع عمليّة إعادة دمج العمّال المهاجرين في بلدانهم الأصليّة، وآثار هجرة الكفاءات العلميّة.

ويدرس أحمد البكاي في كتابه: "وضعيّة الطفل المغربيّ في المهجر: هولندا نموذجًا" (١٩٩٤)، العلاقات المغربيّة الهولنديّة، ووضعيّة الجالية المغربيّة في هولندا وطبيعة العلاقات الأسريّة والتّعليم الهولنديّ، وآراء الأطفال حول الحرّية والتّقاليد؛ ولكن المؤلّف لم يتبع المنهج الأكاديميّ في التّحليل والاستنتاج. ولهذا كانت الاستفادة منه محدودة.

هناك أيضًا بحث باللّغة الإنكليزيّة بعنوان "المغرب: تحوّل الهجرة، الاتّجاهات، المقرّرات وسيناريوهات المستقبل" للدّكتور هين دو هاس (٢٠٠٥) بحث فيه استنادا لنظريّة تحوّل الهجرة المواضيع التالية: حركيّة السكّان قبل الاستعمار، الهجرة تحت تأثير الاستعمار، الهجرة الضّخمة (١٩٦٣-١٩٧٢)، جمع شمل العائلات (١٩٧٣-١٩٨٩)، أنماط الهجرة المختلفة (١٩٩٠-٢٠٠٤)، التّباين الإقليميّ لمصادر الهجرة الخارجيّة في المغرب، لا مركزيّة الهجرة الداخليّة، الهجرة والتّحويلات وإستراتيجيّة التّنمية الوطنيّة، وسيناريوهات المستقبل. وهو يعدّ من البحوث المهمّة التي عالجت الهجرة من المغرب بمنهج أكاديميّ.

وكتاب "العرب وهولندا: الأحوال الاجتماعيّة للمهاجرين العرب في هولندا" لمؤلّفه د. حميد الهاشمي (٢٠٠٨) الذي درس دوافع الهجرة العربيّة وهولندا: الدّولة والمجتمع وبرامج الاندماج الاجتماعيّ في هولندا والعرب وهولندا والأحوال التربويّة والتعليميّة للمهاجرين العرب في هولندا والعرب في هولندا، اندماج أم عزلة؟".

وبحث "الهجرة الدوليّة والتّنمية الاجتماعيّة- الاقتصاديّة" للدّكتور هاشم نعمة فياض (٢٠٠٩) الذي بحث ضمنا في تطوّر الهجرة من المغرب العربيّ وأسبابها والعلاقة بين الهجرة والتّنمية والتّحويلات وأضرار الهجرة ومنافعها والمعالجات. وكتاب " الكفاءات العلميّة المغربيّة بالخارج بلجيكا كنموذج" للدكتور عثمان البهالي (٢٠١٠) الذي درس الهجرة المغربيّة إلى بلجيكا وظروف الدّراسة والبحث وإسهامات الكفاءات المغربيّة في بلجيكا. وبما أنّ الكاتب لم يكن متخصّصا في الدّراسات السكّانيّة لذلك أفتقر إلى التّحليل المعمّق.

كلّ هذه الدّراسات رغم تباين أهمّيتها، لم يركّز أيٌّ منها على هولندا بعد أن أصبحت قطبا مهمّا للهجرة الوافدة بالأخصّ من المغرب والبلدان العربيّة الأخرى.

وصدرت عن مكتب الإحصاء المركزيّ الهولنديّ دراسات وبحوث وتقارير تطرّقت ضمنا لهجرة المغاربة إلى هولندا، والهجرة من بقيّة البلدان العربيّة وبالأخصّ في كتاب يصدر سنويّا بعنوان "السكّان غير الأصليّين في

هولندا" والذي يركّز على الجاليات المهاجرة الكبيرة وهي: المغاربة والأتراك والسوريناميّون والأنتيليّون ومن جزيرة أروبا الهولندية. حيث درس بنيتها الدّيمغرافيّة والمهنيّة ومشاركتها في سوق العمل والجرائم المسجّلة والاندماج الاجتماعيّ والصحّة والمجموعات المهاجرة الجديدة. وآخر صدور لهذا الكتاب كان عام ٢٠٠٤. ويصدر تقرير سنويّ مهمّ بعنوان "التّقرير السّنويّ حول الاندماج" والذي يعالج نفس المواضيع المذكورة بشكل مفصّل. إضافةً لما صدر من دراسات ومقالات تخصّ المغاربة وبقيّة المهاجرين ضمن نشرة "اتّجاهات السكّان" والتي تصدر كلّ ثلاثة أشهر.

خلفيّة نظريّة

من أجل التعمّق في تحليل الهجرة الدوليّة وآثارها المتشابكة في بلدان الأصل والاستقبال، لا بدّ من التطرّق إلى الإطار النظريّ المتعلّق بها، لتسهيل فهمنا لهذه الظّاهرة بكلّ تعقيداتها وتأثيراتها المتبادلة. حيث يلاحظ أنّ النّظام الاقتصاديّ العالميّ، الذي يشكّل الاقتصاد الوطنيّ جزءًا مكوّنًا له، يتيح تناول حركيّة العمل الدوليّة كموضوع بحث واستقصاء. فهذه المقاربة تنطلق من فرضيّة قوامها: أنّه لا يمكن إدراك الهجرة الدوليّة من دون ربطها بمنظومة الاقتصاد الرّأسماليّ العالميّ، فهي من إنتاج هذه المنظومة والتحوّلات التي حدثت في بنية هذا الاقتصاد وتقسيم العمل الدّوليّ.

تعدّ الهجرة بين المستعمرات، ومنها إلى الدّول المستعمِرة، الشّروط لانطلاق هجرات جديدة. فالهجرة القادمة من أوروبا مثلًا، ستعدّ "التّربة الخصبة" لنموّ هجرة معاكسة من المستعمرات نحو المتروبولات الأوروبيّة. إنّ إقدام النّظام الرأسماليّ على تحطيم حدوده الوطنيّة عن طريق الاستعمار أطلق صيرورة إزالة الطّابع الوطنيّ عن قوّة العمل. وأرسى بذلك أسس انبثاق مجالٍ لسوق العمل، ستكون له آثار حاسمة على المدى البعيد[٧]، وهذا ما نلاحظ تجلّياته في الوقت الحاضر في بلدان المغرب العربيّ التي ارتبط اقتصادها بقوّة، باقتصاد فرنسا، وخصوصًا في فترة الاستعمار.

لا يمكن دراسة الهجرة الدوليّة دون تحليل تطوّر تقسيم العمل الدوليّ المرتبط بنشأة وتطوّر النّظام الرأسماليّ، ليس في البلدان الرأسماليّة المتطوّرة فحسب، ولكن أيضًا في البلدان التي زرعت فيها الرأسماليّة بطريقة مبتورة

[٧] - صالح ياسر حسن، **العلاقات الاقتصادية الدولية، الابستمولوجيا، الأنطولوجيا، الأكسيولوجيا**، (بغداد، دار الرواد للطباعة والنشر، ٢٠٠٦)، ص ٣٧٩-٣٨٠.

ومشوّهة فصارت بلدانًا "متخلّفة". ومن المعلوم أنّ أحد الشّروط الأساسيّة اللازمة لبدء عمليّة الإنتاج الرأسماليّة هو وجود قوّة عمل محرّرة من أيّ علاقة إنتاج سابقة للرأسماليّة، يمكن أن تضطرّ لبيع قوّة العمل. وقد تمّ ذلك تاريخيًّا بنزع ملكيّة الفلاحين وتحطيم الصّناعة التقليديّة، واتّخذت تلك الصّيرورة التاريخيّة في البلدان المتخلّفة وسائل عدّة، من بينها مثلًا: الاستعمار العسكريّ المباشر أو آليّة التّبادل اللامتكافئ[٨]، وهذا ما ينطبق إلى حدٍّ كبير على بلدان المغرب العربيّ.

لقد ساهمت استنتاجات الدّراسات الميدانيّة التي أُجريت خلال السّنوات الأخيرة، في مراجعة المفاهيم والنّماذج النظريّة للهجرة الدوليّة ونقدها. وقد يكون من أبرز تلك الاستنتاجات: تشعّب عوامل الطّرد والجذب وشمولها العوامل الثقافيّة والعلاقاتيّة والجغرافيّة، بالإضافة إلى العوامل الاقتصاديّة والاجتماعيّة الأخرى. ومن ذلك الاستنتاج بأنّ العديد من الجهات والجماعات المتطابقة الخصائص (البطالة، الفقر...)، لم تشهد نفس المشاركة في تيّارات الهجرة، أو كون العرض والطّلب على العمل ليست عوامل مستقلّة الواحدة عن الأخرى، أو لأنّ عاملي الطّرد والجذب تتحكّم فيهما عوامل واحدة متعلّقة برأس المال. وأنّ الهجرة لا تستقطب السكّان الفقراء فحسب، بل كذلك جميع السكّان القادرين على تحمّل تكاليف الهجرة. وكون قرار الهجرة ليس قرارا فرديًّا، بل في الغالب عمليّة يساهم فيها مختلف أفراد الأسرة.

لذلك؛ اتّجه الاهتمام إلى اعتماد مقاربات أكثر شموليّة لمعالجة الهجرة، وظهرت طروحات مثل الدّعوة إلى معالجتها كنظام اجتماعيّ، أو كجزء من النظام الاجتماعيّ الذي يقوم بدور الوسيط بين المجالات، أو كجزء لا يتجزّأ من شبكة العلاقات التي تربط بين المجالين الواقعين على طرفي خطّ سير الهجرة، أو كعلاقة تاريخيّة للتّبعيّة الاقتصاديّة المتبادلة بين مجتمعات "المركز" ومجتمعات "الأطراف"[٩]، وهذا أيضا ينطبق بأجْلَى صوره على بلدان المغرب العربيّ، وخصوصًا المغرب وتونس.

ومن ناحيةٍ أخرى؛ تؤكّد نظريّة الأنظمة العالمية أنّ الهجرات العابرة للحدود تتّجه إلى المدن العالميّة التي توجّه الاستثمارات الأجنبيّة وتسيطر عليها وتشهد تدفّق رؤوس أموالٍ كبيرة، وتتميّز بكونها مقرًّا لمكاتب مؤسّسات تجاريّة عابرة للحدود. وتتأثّر الهجرات الدوليّة بالتحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة لفترة ما بعد

[٨] - المصدر نفسه، ٣٨٠-٣٨١.
[٩] - خالد الوحيشي، **الهجرة والأسرة: حالة البلدان العربية المرسلة للعمالة**،(١٩٩٨)، ص ٨-٩.

الحداثة[١٠]. وبنيت هذه النظريّة ذات البعد العالميّ على عمل واليرستين عام ١٩٧٤، لتعتبر الظّاهرة محصّلة طبيعيّة للعولمة الاقتصاديّة وفتح الحدود الوطنيّة أمام التّجارة العالميّة.

وفي كلتا النّظريّتين، لا يوجد ذكر للدّور المهمّ الذي تقوم به المؤسّسات الرّسميّة وغير الرّسميّة المختلفة والشّبكات الأثنيّة وغيرها[١١]، لذلك من المهمّ إضافة هذه المكوّنات إلى المفاهيم النظريّة المتعلّقة بالهجرة.

وتعتبر النظريّة الدّيناميكيّة للهجرة أنّ هنالك علاقات متبادلة بين الهجرة والتحوّلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وبالأخصّ على التّنمية، وبحسبها فإنّه لا يوجد جنوب متماثل، لأنّ تأثيرات الهجرة في التّحوّلات لا تكون بنفس الحجم لجميع دول الجنوب والشّمال[١٢]، بل لا تكون بنفس الحجم حتّى في داخل الدّولة الواحدة، حيث تتأثّر أكثر مناطقها المرسلة والمستقبلة للمهاجرين.

يلاحظ أنّ معظم النظريّات الحاليّة للهجرة الدوليّة تركّز على هجرة العمالة ذات المهارة المحدودة من الدّول النّامية إلى المتقدّمة، وهي لا تقدّم تفسيرًا كافيًا لهجرة العمالة الماهرة[١٣]، لذلك فهنالك حاجة ماسّة لتطوير الجهد النظريّ المتعلّق بالهجرة الماهرة عمومًا.

تطوّر هجرة العمالة من بلدان المغرب العربيّ

إنَّ الهجرة من بلدان المغرب العربيّ ليست ظاهرة جديدة، وهي مختلفة باختلاف الوضع الاستعماريّ الذي عانت منه بلدان المغرب العربيّ الثلاث[١٤]، فإذا أخذنا حالة الجزائر نجد أنّها مثّلت خزّان اليد العاملة الذي لجأت إليه فرنسا بحسب حاجتها العسكريّة والاقتصاديّة التي تطلّبتها المرحلة، ولم تزدد هجرة العمالة المغربيّة والتونسيّة إلا بداية سنة ١٩٦٢، نتيجة حاجة أوروبا الغربيّة للعمالة المهاجرة بعد مرحلة الازدهار الاقتصاديّ التي مرّت بها في عقد الستّينيات من القرن العشرين.

---

[10]- Ulrike Schuerkens, "Transnational Migrations and Social Transformations: A Theoretical Perspective ", *Current Sociology*, July, Vol. 53(4), 2005, p.542.

[11] - Seben Akcapar, "Do Brain Really Going Down the Drain", *Revue Européenne des Migrations Internationales*, Vol. 22, No. 3, 2006, p. 84.

[12]- Ulrike Schuerkens, "Transnational Migrations and Social Transformations.. *", Op. Cit.*, p.544

[13]- Siew-Ean Khool et al, "Temporary Skilled Migration to Australia: Employers' Perspectives", *International Migration*, Vol. 45 (4) 2007, p. 196.

[١٤] - كانت الجزائر تعد جزءا من فرنسا لمدة امتدت أكثر من ١٣٠ سنة قبل استقلالها عام ١٩٦٢ خلاف المغرب وتونس اللذين فرضت عليهما الحماية الفرنسية حتى استقلالهما عام ١٩٥٦.

ويعكس التّوزيع النّسبيّ للوافدين إلى فرنسا سنويًّا في الفترة ما بين ١٩٦٤ والنّصف الأوّل من عام ١٩٧٤، زيادة طرأت على عدد العمّال المهاجرين القادمين من المغرب العربيّ قبل الفترة التي سبقت تطبيق الإجراءات التي تحدّ من دخولهم. فقد شكّلت العمالة الجزائريّة ١٨% والمغربيّة ١٧,٤% والتونسيّة ١٣,٣% عام ١٩٧٣، من مجموع العمالة التي دخلت فرنسا[١٥].

وقد انعكست أزمة النّفط عام ١٩٧٣ بحدّة على الهجرة الدوليّة. وبموازاة ذلك، أدّى الرّكود الاقتصاديّ الذي شهدته أوروبا إلى تراجع إنتاجيّة بعض القطاعات التي كانت توظّف العمالة الوافدة خلال عقد الستّينات (مثل قطاعي البناء والصّناعة التحويليّة)، ممّا أدّى إلى الاستغناء عن عدد كبير من العمالة الأجنبيّة. وبالفعل، استخدمت حكومات الولايات المتّحدة وأوروبا العمالة المهاجرة باعتبارها "صمام أمان" لتخفيض معدّلات البطالة، وتوفير الوظائف لمواطنيها عندما تدعو الحاجة. لذلك منذ عام ١٩٧٣، انحسرت فرص هجرة العمالة من المنطقة العربيّة إلى أوروبا بشكل تدريجيّ، وذلك في موازاة التّزايد التدريجيّ الذي شهدته تيّارات الهجرة إلى منطقة الخليج العربيّ. غير أنّ الهجرة إلى أوروبا تكون دائمة في أغلب الأحيان، بينما الهجرة إلى الخليج مؤقّتة[١٦]. وهذا، يؤكّد العلاقة القويّة بين الاقتصاد العالميّ وتيّارات الهجرة الدوليّة.

وتوضّح معطيات هجرة العمالة من بلدان المغرب العربيّ عام ١٩٧٤ التالي: ٨٤% منها موجودة في فرنسا، و٧% في بلجيكا، و٤% في ألمانيا الاتّحاديّة، و٣% في هولندا، و٠,٢% في بريطانيا، و٠,١% في السويد. وقد استقرّ أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ من هذه العمالة في فرنسا في العام نفسه. وازدادت في فرنسا بمعدّل ٢,١٥% بين ١٩٧٤-١٩٨٣، وذلك على الرّغم من التّدابير التي اتّخذتها الحكومة من أجل الحدّ منها. وكانت العمالة الجزائريّة تشكّل دائمًا أعلى نسبة من العمالة المهاجرة من المغرب العربيّ إلى فرنسا. وقد مثّل المهاجرون من هذه المنطقة ٣٠% من مجموع الجالية الأجنبيّة المقيمة في فرنسا عام ١٩٨٣[١٧].

لقد ولّى ذلك العهد الذي كان فيه وزير العمل الفرنسيّ جافيي عام ١٩٦٦ يصرّح بأنّ "الهجرة حتّى السرّية منها نافعة لأمّتنا". فمنذ عام ١٩٧٢، صارت الهجرة السرّية موضع محاربة من قبل السّلطات الفرنسيّة. ثمّ تطوّر ذلك إلى درجة التّضييق على العمّال المقيمين وفقًا لقرارات عام ١٩٧٧ ولقانون "بونيه" في كانون

---

[١٥] - هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨-١٠٩.

[١٦] - الإسكوا، "آثار الأزمة المالية على الهجرة الدولية في المنطقة العربية"، **نشرة التنمية الاجتماعية**، العدد ٦. (عمان: ٢٠٠٩)، ص٥- ٨.

[١٧] - غربال وآخرون، "حول الهجرة العربية إلى أوروبا بعض الملاحظات الاجتماعية والسياسية"، **مجلة الوحدة**، العدد ٨، أيار /مايو (١٩٨٥). ص ٥٠-٥١.

الثاني/يناير ١٩٨٠، الذي عدّل قرار تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٥ المنظّم لشروط دخول العمّال الأجانب وإقامتهم وعملهم. بل إنّ هذه القرارات أصبحت تطبّق بموجب تعليمات إداريّة غير خاضعة للإعلان الرّسميّ، ممّا يجعل معرفة مضامينها صعبة على المهاجرين، وبالتالي يجعل تطبيقها استثنائيّا من قبل السّلطات الإدارية[١٨]، وهو الأمر الذي يجعلها مخالفة لقوانين العمل الدوليّة.

ولإلقاء نظرة على عدد العمالة المهاجرة من دول المغرب العربيّ الثلاث في فترة زمنيّة واحدة، نستعين بالمعطيات المتوفّرة عام ١٩٧٩ في بلدان السّوق الأوروبيّة المشتركة سابقًا، والتي يوضّحها الجدول التالي[١٩]:

جدول رقم (١) أعداد المهاجرين من المغرب العربيّ في بلدان أوروبيّة مختارة في عام ١٩٧٩:

الدولة المستقبلة/ الدولة الأصل	الجزائر	المغرب	تونس
فرنسا	٧٨٢,١١١	٤٠٠,٠٠٠	١٨٣,٧٨٢
بلجيكا	٥,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠
هولندا	٢,٠٠٠	٧٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
ألمانيا الغربية	١,٥٠٠	٣٥,٠٠٠	٢٥,٠٠٠
المجموع	١,٦٠٠,٠٠٠		

ويعرض لنا الجدول الموالي الأعداد المسجّلة للعمّال المهاجرين من المغرب العربيّ في دول مختارة عام ١٩٨٠. وقد بلغ مجموع المهاجرين ٦٠٢,٣٠٠ مهاجرًا، وفي تقديرنا أنّ المجموع الحقيقيّ أكثر من هذا بكثير حيث أنّ هنالك أعدادًا مهمّة من العمّال المهاجرين لم يتمّ تسجيلها. ويُستنتج من المعطيات المذكورة أنّ عدد الجزائريّين يشكّل أكبر نسبة من المجموع (٥٤,٤%)، وتليها نسبة المغاربة (٣٣,٨%)، ثمّ نسبة التونسيّين

[١٨] - سهيل الزين، "محددات هجرة اليد العاملة إلى أوروبا"، **مجلة الوحدة**، العدد ٨، (١٩٨٥). ص ٦٣-٦٤.
[١٩] - هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧- ١٠٨.

(١١,٨%). ويتّضح أيضا أنّ البلد الأوّل الذي يتوجّه له مهاجرو المغرب العربيّ هو فرنسا. ويعلّل هذا التوجّه بالرّوابط السياسيّة والاقتصاديّة التي كانت قائمة بين فرنسا ودول المغرب العربيّ في مرحلة الاستعمار، والتي ظلّت قويّة حتّى بعد نيل هذه الدول استقلالها السياسيّ وبالأخصّ في حالة المغرب وتونس، إضافة إلى عامل اللّغة حيث لا يجد المهاجرون صعوبة في التّفاهم باللّغة الفرنسيّة.

جدول رقم (٢) **العدد المسجّل للعمّال المهاجرين من بلدان المغرب العربيّ في بلدان أوروبيّة مختارة عام ١٩٨٠. (بالآلاف)***

		بلدان الهجرة الوافدة				
		بلجيكا	فرنسا	ألمانيا الغربية سابقا	هولندا	المجموع
بلدان الهجرة المغادرة	الجزائر	٣,٢	٣٢٢,٧	١,٦	* *	٣٢٧,٥
	المغرب	٣٧,٣	١١٦,١	١٦,٦	٣٣,٧	٢٠٣,٧
	تونس	٤,٧	٦٥,٣	**	١,١	٧١,١
	المجموع	٤٥,٢	٥٠٤,١	١٨,٢	٣٤,٧	٦٠٢,٣

* هناك سوء تقدير يصل إلى عدة مئات من الآلاف بسبب وجود أصحاب الأعمال الصغار والعمال العاملين في البيوت وأولئك الذين يقيمون في مواقع الإنشاءات والذين لم تتم تغطيتهم بالتسجيل أو سجلوا بصورة غير كافية.

** لا يوجد مهاجرون مسجلون أو مقدرون أو العدد أقل من ٥٠٠ مهاجر أو غير ملائم.

- المصدر: هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، (ليبيا: مركز البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٩٢)، ص ١٠٧-١٠٨.

يوضّح الجدول التالي والرّسم الذي يرافقه، حجم الهجرة في الدول الأوروبيّة الرّئيسة المستقطبة للمهاجرين، حيث تحتلّ ألمانيا المرتبة الأولى، وفرنسا الثانية، وإسبانيا الثالثة، بينما تحتلُّ هولندا المرتبة الرّابعة. وحسب معطيات التّعداد السكانيّ للفترة ١٩٩٩-٢٠٠٣، فإنّ توزيع نسب المهاجرين القادمين إلى الاتّحاد الأوروبيّ كانت كالتالي: أكثر من نصف السكّان الأجانب بالولادة كانوا قد ولدوا في الدّول الأوروبيّة التي التحقت بالاتحاد الأوروبيّ بعد توسيعه. والثّلث الباقي جاء من أوروبا بما فيها تركيا مع نسبة صغيرة تعود أصولها إلى أفريقيا. ومن بين الدّول التي أرسلت أعدادًا كبيرة من المهاجرين إلى الاتّحاد الأوروبي: تركيا (٥,٨%)،

والمغرب (٤,٥%)، والجزائر (٣,٩%)، وصربيا والجبل الأسود (٢,٢%)، والهند (١,٨%)، وألبانيا (١,٧%)، وتونس (١,٣%)، والباكستان (١,٢%)[٢٠].

والملاحظ هنا أنّ بلدان المغرب العربيّ الثلاث تعدّ المصادر الرّئيسة للعمالة منذ عقودٍ مضت؛ وخصوصًا إلى أوروبا وهذا راجع إلى القرب الجغرافيّ والخلفيّة الثقافيّة والتاريخيّة التي نتجت من فترة الاستعمار الفرنسيّ. وهذا ما تفسّره المفاهيم النظريّة التي ذكرناها أعلاه. وقد أصبحت العمالة المغربيّة تحتلّ المرتبة الأولى بين العمالة المغاربيّة في أوروبا تليها العمالة الجزائريّة ثمّ التونسيّة. ولا تتفوّق على المغرب أيّ دولة عربيّة أخرى في عدد المهاجرين باستثناء مصر[٢١]. وهذا التبدّل في المرتبة يعود إلى تراجع أعداد المهاجرين الجزائريّين مقارنة بالمغاربة؛ لأنَّ الاقتصاد الجزائريّ يتوفّر على موارد ماليّة مهمّة ناتجة من تصدير النّفط والغاز الطبيعيّ.

ويلاحظ أنّه ورغم تراجع الهجرة من دول المغرب العربيّ إلى أوروبا إلا أنّ الملاحظ أنّ الهجرة إليها من بلدان أخرى في ازدياد ومن المرجّح أن تزداد في السّنوات القادمة. وطبقاً لتقديرات Eurostat من المتوقّع أن يزداد سكّان بلدان الاتّحاد الأوروبيّ الـ ٢٥ أكثر من ١٣ مليون نسمة من ٤٥٦,٨ مليون عام ٢٠٠٤ إلى ٤٧٠,١ مليون عام ٢٠٢٥ نتيجة نموّ سكانيّ يعود بشكل رئيس إلى صافي الهجرة [٢٢] على اعتبار أنّ معدّل الولادات في أوروبا في تراجع.

[20] - Louka T. Katseli et al, *Effects of Migration on Sending Countries: What Do We Know*? (Italy, 2006), p. 13.

[٢١] - حسب وزيرة القوى العاملة والهجرة (السابقة) عائشة عبد الهادي يعمل ٧,٥ مليون مصري في الخارج في جميع المستويات منهم ٥ مليون في الدول العربية، نقلا عن صحيفة **الأهرام الدولي**، ١٨ كانون الثاني/ يناير، ٢٠١٠.

[22]- Louka T. Katseli et al, *Effects of Migration on Sending Countries.., Op. Cit.*, p. 11.

جدول رقم (٣) رصيد الهجرة الدوليّة للدّول الأوروبيّة الرّئيسة المستقطبة للمهاجرين الدوليّين عام ٢٠٠٥.

الدول	ألمانيا	فرنسا	إسبانيا	هولندا
رصيد الهجرة بالملايين	١٠,١	٦,٥	٤,٨	١,٦
النسبة المئوية من مجموع المهاجرين (%)	٥,٣	٣,٤	٢,٥	٠,٨

- Source: UN, *International Migration Repot* 2006: a Global Assessment, p. 3.

شكل رقم (١) رصيد الهجرة الدوليّة للدول الأوروبيّة الرّئيسة المستقطبة للمهاجرين الدّوليّين عام ٢٠٠٥ (بالملايين)[٢٣]

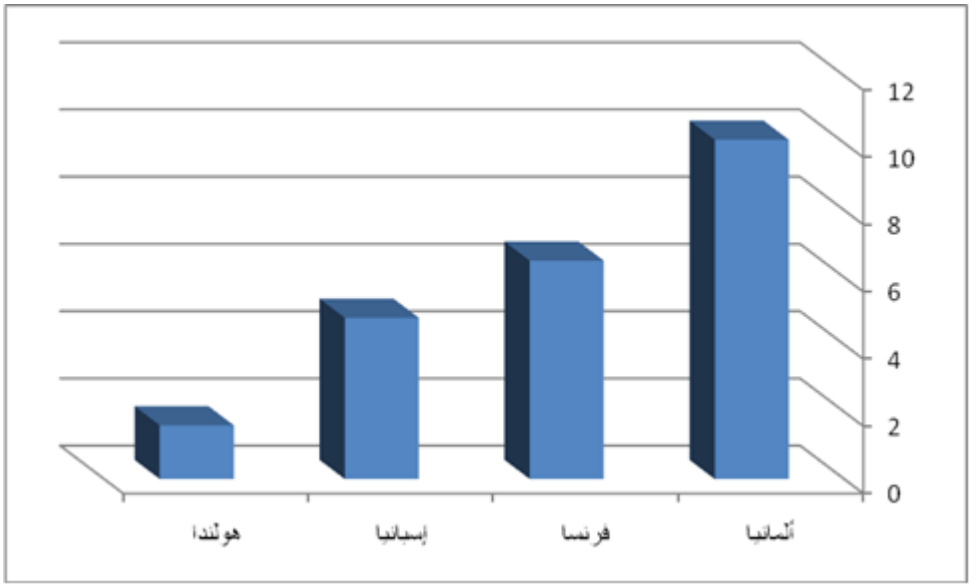

ويبيّن الجدول التالي، والشّكل الذي يرافقه، توزيع المهاجرين من المغرب العربيّ، حيث يلاحظ أنّ العدد الأكبر يقيم في الدول الأوروبيّة. ومقارنة مع الجاليات المهاجرة غير الأوروبيّة، تمثّل الجالية المغاربيّة ثاني أكبر جالية بعد التركيّة، حيث تشكّل كلاهما ٤١% و٥٠,٣% على التّوالي من المجموع. وتتوزّع الجالية المغاربيّة بين ٢٢% من المغاربة، و١٣% من الجزائريّين، و٥,٨% من التونسيّين[٢٤].

[٢٣] - الشكل البياني من رسم الباحث استنادا للجدول (٣).

[٢٤] محمد الخشاني (إعداد)، **التحويلات المالية للمهاجرين وأثرها على التنمية في بلدان المغرب العربي الثلاث: المغرب، الجزائر، تونس**، (بيروت: الأمم المتحدة ، ٢٠٠٦). ص ٣.

وتعدّ اتفاقيّات الشّراكة مع الاتّحاد الأوروبيّ التي وقّعها كلّ من المغرب وتونس أحد العوامل المؤثّرة على المستوى القصير والبعيد في المتغيّرات الاقتصاديّة الكلّية، وحجم التنقّل ومعدّلات الهجرة[٢٥]، وهذا يبيّن مدى الأهميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة وإلى حدٍّ ما السّياسيّة التي تحتلّها الهجرة حاضرًا ومستقبلًا في البلدان المضيفة والمرسلة.

جدول رقم (٤) المهاجرون من دول المغرب العربيّ حسب الدّول

المنطقة	المغرب	الجزائر	تونس	المجموع
الدول الأوروبية	٢٦١٦٨٧١	٩٩١٧٩٦	٦٩٥٧٦٥	٤,٣٠٤,٤٣٢
الدول العربية	٢٨٢٧٧٢	٦٦٣٩٨	١١٦٩٢٦	٤٦٦,٠٩٦
دول أخرى	٢٣١٧٢٣	١٤٠٥٢	٣٠٥١٣	٢٧٦,٢٨٨
المجموع	٣,١٣١٣٦٦	١٠٧٢٢٤٦	٨٤٣٢٠٤	٥,٠٤٦,٨١٦

المصدر: الإسكوا، **سياسات الهجرة والسكان في المنطقة العربية**، (نيويورك، الأمم المتحدة ٢٠٠١)، ص ٣.

[٢٥] - الإسكوا، **سياسات الهجرة والسكان في المنطقة العربية**، (نيويورك، الأمم المتحدة ٢٠٠١)، ص٤١.

شكل رقم (٢) المهاجرون من دول المغرب العربيّ حسب الدّول[٢٦]

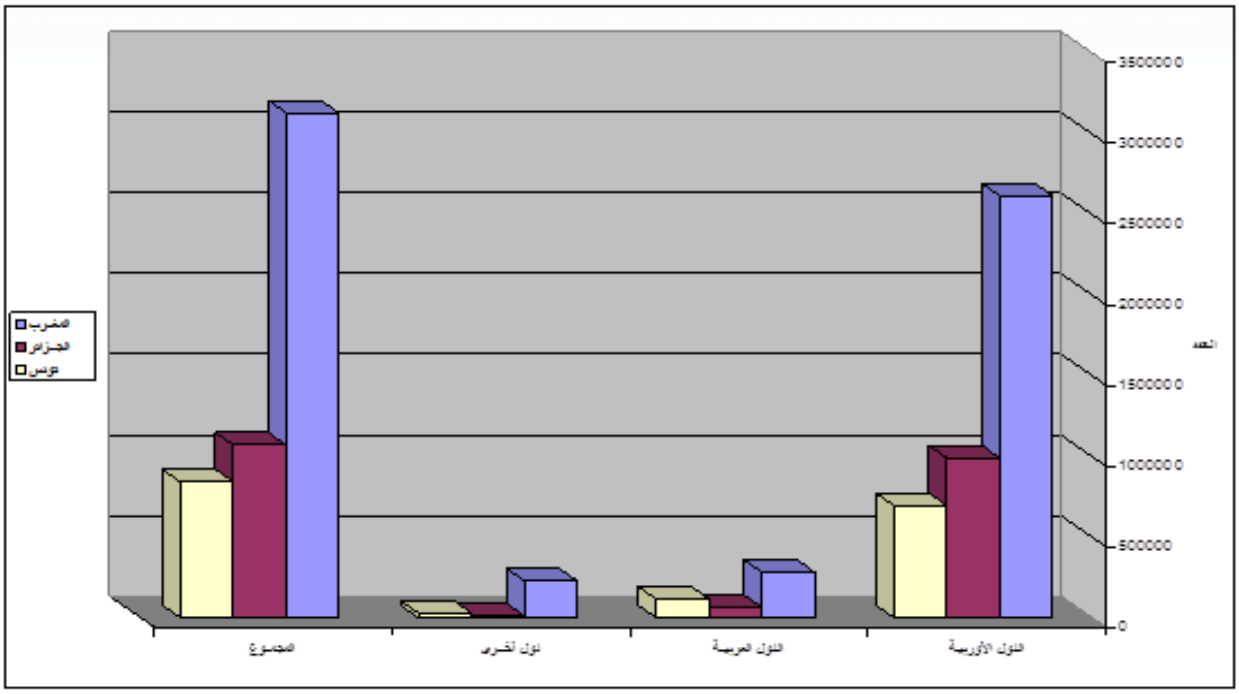

ولم تقتصر الهجرة من بلدان المغرب العربيّ على العمالة غير الماهرة أو قليلة المهارة، فقد شهدت هذه البلدان هجرة العقول بحدّة، وزاد من ذلك كون أعداد كبيرة من الطلبة يتابعون دراساتهم في فرنسا وكندا والولايات المتّحدة، ومعظم هؤلاء يفضّلون البقاء في هذه الدول بعد إنهاء دراستهم، مع أنّ معظمهم استفاد من المنح المدفوعة من قبل حكوماتهم. وتشير بعض المصادر إلى أنّ أكثر من ١٠٠٠٠ طالب من دول شمال أفريقيا فضّلوا البقاء في أوروبا وكندا والولايات المتّحدة، حيث تابعوا دراستهم[٢٧]. أمّا أصحاب المهن الطبّية من البلدان العربيّة (من غير الممرّضين)، الذين هاجروا إلى بلدان الاتّحاد الأوروبي في السّنوات ١٩٩٩ و٢٠٠٠ و٢٠٠١، فقد بلغ عددهم ٦٨٩٥ و٤٨١٨ و٣٧٥١، على التوالي، ومعظمهم قَدِمَ من الجزائر والمغرب ومصر والعراق، وهاجر أكثرهم إلى فرنسا وبريطانيا، فيما ذهب نحو ٥% منهم إلى إيطاليا[٢٨].

وخلال التّسعينات من القرن الماضي، قامت تونس بإبرام اتّفاق مع الولايات المتّحدة يتابع بموجبه طلبة تونسيّون دراستهم في الجامعات الأميركيّة، لكن بعد مرور عدّة سنوات على الشّروع في تنفيذه، تبيّن أنه يلحق خسارة كبيرة بتونس، ذلك أنّ نصف الطّلبة الذين يتابعون دراستهم على نفقة الحكومة يفضّلون البقاء في

[٢٦] - الشكل البياني من رسم الباحث استنادا للجدول رقم (٤).
[٢٧] - حسن قرنفل، "مجانية التعليم العالي وهجرة الأدمغة"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد ٨ -٩، (٢٠٠٤). ص١٧٠-١٧١.
[٢٨] - محمد عارف، "حركة الكفاءات العربية، الإقليمية والدولية"، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

الولايات المتّحدة. كما أنّ أكثر من نصف المهندسين التونسيّين المتخرّجين من مدرسة بوليتكنيك في فرنسا؛ وهي من أرقى مدارس المهندسين في العالم، لم يلتحقوا ببلدهم بعد إكمال دراستهم، لذلك أوقفت تونس كلّ أشكال التّعاون الجامعيّة مع الولايات المتّحدة، كما أنشأت لجانًا خاصّة داخل السفارات التونسيّة في فرنسا وكندا وألمانيا، من أجل محاربة هجرة العقول وحثّ الطّلبة على الرّجوع إلى بلدهم.

لقد قاومت كلّ حكومات المغرب العربيّ إرسال الطّلبة إلى الخارج بمجرد حصولهم على البكالوريا، لأنه تبيّن أنّهم أكثر استعدادًا للبقاء في بلاد المهجر. وتمّ الاقتصار على إرسال طلبة الدّراسات العليا (الدكتوراه) في بعض التخصّصات النّادرة. وشملت الهجرة أيضًا الخرّيجين الجدد، إذ يلاحظ في بعض المدارس العليا لتكوين المهندسين في الإعلاميات والتّقنيات الحديثة في المغرب، أنّ أكثر من ٩٠% من خرّيجيها الجدد يهاجرون إلى أوروبا وأميركا الشماليّة مباشرة بعد حصولهم على شهادة التخرّج[٢٩]. وهذا يعني أنّ نمط الهجرة من هذه البلدان الثلاث قد تغيَّر، بعد أن كانت الغالبيّة السّاحقة من العمالة المهاجرة تصنّف بأنّها غير ماهرة أو قليلة المهارة.

تطوّر هجرة العمالة المغربيّة

شهد المغرب منذ بداية القرن الماضي، ظاهرة هجرة العمالة إلى أوروبا، وإن كانت بأعداد قليلة. ومن الثّابت أنّ فترة ما بعد الحرب شهدت زيادة كبيرة في أعداد المهاجرين، وبالأخصّ أولئك المتوجّهين إلى فرنسا.

وخلال النّصف الثاني من القرن العشرين، أصبح المغرب واحدًا من الدّول الرئيسة المصدّرة للعمالة. والملاحظ أنّ المغاربة من أكبر وأكثر الجاليات تشتّتًا في أوروبا الغربيّة[٣٠]. وقد استمرّت وتيرة الهجرة هذه في التّصاعد أكثر في عقد الستّينيات من القرن العشرين وبالأخصّ في أواخره. حيث ارتبط هذا التطوّر بالنموّ الاقتصاديّ الذي شهدته الدّول الأوروبيّة الرأسماليّة خلال العقد المذكور. وقد استمرّ هذا الاتّجاه حتّى عام ١٩٧٤، عندما فرضت أغلب الدول الأوروبيّة المستوردة للعمالة قيودًا شديدة تحدّ من دخول العمالة المهاجرة

[٢٩] - حسن قرنفل، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠-١٧٥.
هناك محاولات لإيجاد نوع من التواصل بين الكفاءات العلمية المهاجرة من البلدان العربية وبين بلدانها بالرغم من هذه المحاولات في تقديرنا لا تزال دون ما هو مطلوب. ومن هذه المحاولات وجود شبكات عدة من طراز (توكتن) تربط مجتمع الشتات العلمي من البلدان العربية بالداخل، وتساهم في نقل المعرفة، عن طريق تنظيم مؤتمرات مهنية، أو المشاركة المباشرة في تطوير برامج ومشاريع العلوم والتكنولوجيا في العالم العربي. ويضم بعض هذه الشبكات مثقفين وعلماء في الخارج، أو باحثين وطلبة، كشبكة الباحثين المغاربة المقيمين في فرنسا (Migration Recherche) وشبكة أطلقها عرب أمريكيون تحت اسم "العلماء والتكنولوجيون العرب في الخارج" (المصدر: محمد عارف، "حركة الكفاءات العربية، الإقليمية والدولية"، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢).

[30] - Hein de Haas, "Morocco's Migration transition: Trends, determinants and future scenarios", *Nijmegen, Centre for International Development Issues*, 2005, p. 1.

إلى أراضيها، وذلك بسبب الأزمة الاقتصاديّة التي مرّت بها هذه البلدان، ونتيجة لذلك فقد انخفض بشكل حادّ العدد السنويّ للعمّال المغاربة المهاجرين إلى فرنسا، حيث بلغ المتوسّط السنويّ لعددهم ٥٧٩٣ عاملًا للفترة ١٩٧٥–١٩٨٢، بينما دخل في سنة ١٩٧٣ وحدها ٥١٥٣٤ عاملًا مهاجرًا إلى فرنسا. ومن ناحية أخرى، ازداد عدد العمالة المغربيّة التي تعيش في الخارج بمقدار ٥,٧ ضعف خلال الفترة ١٩٦٨–١٩٨٤، وبمعدّل سنويّ وصل إلى ٨,٨%، ويعزى ذلك إلى استمرار الهجرة من جهة، وإلى الزيادة الطبيعيّة للعمالة المهاجرة المقيمة في الخارج من جهةٍ أخرى [٣١]، والتي قُدّرت في تلك الفترة بنحو ٤٠,٠٠٠ نسمة سنويًّا.

ومثّلت اليد العاملة من المغرب ما نسبته ٧,٢% من مجموع الشّغيلة الأجانب في فرنسا، وبهذا فقد احتلّت المرتبة الخامسة من ناحية العدد بعد الإسبان (١٢,٤%)، والإيطاليّين (١٢,٨%)، والبرتغاليّين (٢٢,٨%)، والجزائريّين (٢٧,٧%)[٣٢]. وفي عام ١٩٦٨، كان يسكن ١٣٥,٨٠٠ مغربيّ في كلّ من فرنسا وبلجيكا وهولندا والدّول الاسكندنافيّة، وارتفع عددهم إلى ٧٧٦٤٠٠ عام ١٩٨٤، في نفس هذه البلدان. وفي عام ١٩٧٧ كانت الجالية المغربيّة موزّعة على الدّول الأوروبيّة التّالية: فرنسا ٣٧٠,٠٠٠ (تقدير)، بلجيكا ٦٠,٠٠٠، إسبانيا ٥٠,٠٠٠، ألمانيا الغربية سابقًا ٢٥,٠٠٠، جبل طارق ٣٠٠٠، ليصل المجموع إلى ٥٥٣,٠٠٠. ويبدو واضحا من هذه الأرقام أنّ ٦٧% من المغاربة يقطنون في فرنسا[٣٣].

واستنادًا لمعطياتٍ أخرى، فقد بلغ عدد أفراد الجالية المغربيّة في أوروبا الغربيّة، ٧٠٣,٠٠٠ نسمة، منهم ٤٢٠,٠٠٠ في فرنسا، و١٠٧,٠٠٠ في بلجيكا، و٧٣,٠٠٠ في هولندا، و٤٠,٠٠٠ في ألمانيا الغربيّة، و٣٠,٠٠٠ في إسبانيا، و١٥,٠٠٠ في إيطاليا، و١٥,٠٠٠ في بريطانيا، و٣٠,٠٠٠ في البلدان الاسكندنافية[٣٤].

وطبقًا للدّراسة التي نشرها مركز البحوث والدّراسات الديمغرافيّة عام ١٩٨٦، فقد قدّر عدد المغاربة الذين يعيشون في الخارج ١,١٤٠,٠٠٠ نسمة، ٧٥% منهم في أوروبا و٤٤% في فرنسا[٣٥]. وهذا يعني أنّ فرنسا استمرّت كونها مركز الجذب الأوّل للعمالة المغربيّة المهاجرة.

---

31 - Hashim N. Fayad, "The Spatio-Temporal Processes of Morocco's Population", Ph.D. Dissertation, (Budapest, 1988), pp. 157-158.

٣٢ - عبد الله البارودي، **المغرب الإمبريالية والهجرة**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ص ١٧١.

33 - Hashim N. Fayad, "The Spatio-Temporal Processes of Morocco's Population", *Op. Cit.*, pp. 163-164.

٣٤ - هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦-١٠٧.

35 - Hashim N. Fayad, "The Spatio-Temporal Processes of Morocco's Population", *Op. Cit.*, pp. 163-164.

واستنادًا لبعض الأبحاث، فقد تراوح عدد المغاربة الذين هاجروا إلى الخارج خلال ١٩٦٠-١٩٧٠ بين ٢٢٣,٠٠٠ و٢٤٧,٠٠٠ مهاجر. وطبقًا لتسجيلات الحدود فقد بلغ عدد الذين غادروا المغرب خلال العشر سنوات المذكورة ٢١٠,٠٠٠ مهاجر، ويشكّل هذا العدد الفارق السنويّ بين الأشخاص المهاجرين والعائدين. وفي عام ١٩٧١، كان الفرق ٢٤,١٦١ نسمة لصالح الهجرة. وخلال الفترة من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٥ بلغ عدد المهاجرين ٤٧٦,٥٩١ نسمة. وقد عرف تيّار الهجرة السنويّ تصاعدًا كبيرًا في أواخر الستّينيّات وبداية السّبعينيّات من القرن الماضي، إذ ارتفع المعدّل السنويّ من ١٠,٠٠٠ خلال ١٩٦٠-١٩٦٢ إلى ٢٩,٠٠٠ في ١٩٧٠-١٩٧٢. وبذلك، تضاعف مجموع العمالة المغربيّة في الخارج في خمس سنوات فقط، من ١٠٠,٠٠٠ عام ١٩٦٦ إلى ٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٧١.[٣٦]

يبدو أنّ التقلّبات التي حدثت في أعداد المغاربة المهاجرين في فرنسا قبل عقد الستّينيّات – كما يبيّنها الجدول التّالي –، كانت مرتبطة بالأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة التي مرّت بها هذه البلاد، مثل الأزمة الاقتصاديّة لعام ١٩٣٣ وما رافقها من ارتفاع في معدّلات البطالة.

جدول رقم (٥): التطوّر العامّ لجالية العمالة المغربيّة المهاجرة في فرنسا خلال ١٩١٥- ٢٠٠١

السنة	العدد	السنة	العدد	السنة	العدد
١٩١٥	٧٠٠	١٩٥٢	٧٩٢٩	١٩٦٧	١١٢٤٧٩

[٣٦] - هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧.

١٩١٨	١٣١٢١	١٩٥٣	٥٨٤٢	١٩٦٨	١١٩٥٢١
١٩١٩	٣٠٠٠	١٩٥٤	٥٢٧٥	١٩٦٩	١٤٣٣٩٧
١٩٢٠	٨٠٠٠	١٩٥٥	١١٣٦٨	١٩٧٠	١٧٠٨٣٥
١٩٢١	٩٠٠٠	١٩٥٦	١٤٢٠٠	١٩٧١	١٩٤٢٩٦
١٩٢٤	١٠٠٠٠	١٩٥٧	٢٣٢٥٠	١٩٧٢	٢١٨١٤٦
١٩٢٥	١٥٠٠٠	١٩٥٨	٣١٢١٦	١٩٧٣	٢٦٩٦٨٠
١٩٢٩	٢١٠٠٠	١٩٥٩	٢٣١٢٥	١٩٧٤	٣٠٢٢٥٥
١٩٣٨	١٣٠٠٠	١٩٦٠	٢٩٧١٨	١٩٧٥	٣٢٢٠٦٧
١٩٣٩	٣٠٠٠٠	١٩٦١	٣٦٩٥٧	١٩٧٦	٣٤٧٩٨٤
١٩٤٠	٤٠٠٠٠	١٩٦٢	٤٩٦٥٣	١٩٧٧	٣٧٠٠٠٠
١٩٤٥	٤٤٠٠٠	١٩٦٣	٦٠٧٤٥	١٩٨٢	٤٣١١٢٠
١٩٤٩	١٧٠٠٠	١٩٦٤	٧٧٣٤٧	٢٠٠١	*٨٤٠٠٠٠
١٩٥٠	١٦٠٠٠	١٩٦٥	٨٧٣٨٣		
١٩٥١	١٨٠٠٠	١٩٦٦	١٠٢١٩٣		

* تقدير

- المصادر: أرقام السنوات من ١٩١٥–١٩٥١ ومن ١٩٥٥–١٩٧٧ عن: عبد الله البارودي، **المغرب الإمبريالية والهجرة**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ص ٣٢. وأرقام السنوات من ١٩٥٢–١٩٥٤، وسنة ١٩٨٢، عن: هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨. و رقم سنة ٢٠٠١ عن:

Hein de Haas, "Morocco's Migration transition: Trends, determinants and future scenarios", *Nijmegen*, Centre for International Development Issues, 2005, p. 15

في البداية كان يتوقّع أن يكون استخدام العمّال المهاجرين مؤقّتًا، لكن مع مرور الوقت أصبحت إقامتهم طويلة أو دائمة. وقد رافقت لاحقًا الهجرة الاقتصاديّة هجرة اجتماعيّة من خلال جمع الشّمل العائليّ

للمهاجرين. وبعد ذلك وُلد الجيل الثاني والثالث من الأطفال المغاربة في دول الاتّحاد الأوروبيّ، ففي الفترة ١٩٨٦–١٩٩٥، هاجر ٣٥٣,٠٠٠ مغربيّ إلى دول الاتّحاد الأوروبيّ[٣٧].

أمّا هجرة العمالة المغربيّة إلى بلجيكا، فقد ارتبطت بما شهده هذا البلد من تطوّر صناعيّ، كباقي دول أوروبا الغربيّة بعد الحرب العالميّة الثّانية لإعمار ما دمّرته الحرب. وساعدها على ذلك توفّرها على مخزون مهمّ من الفحم. حينها، توجّهت الأنظار إلى دول جنوب البحر الأبيض المتوسّط ومنها المغرب الذي كان آنذاك حديث العهد بالاستقلال[٣٨].

وقد شهدت مرحلة ١٩٦٤–١٩٧٤ توقيع اتفاقيّة بين بلجيكا والمغرب، حول هجرة العمالة المغربيّة بسبب تفاقم البطالة وغياب خططٍ واضحة لمعالجتها[٣٩]. وقد شهدت هذه الفترة، شنّ حملات أشبه بالحملات الانتخابيّة، حيث تمّ إرسال فرق متخصّصة إلى المغرب للبحث عن الشبّان ذوي الصحّة الجيّدة، واستعملت مطبوعات من قبل وزارة العمل البلجيكيّة تحت عناوين مغرية من قبل "مرحبًا بكم في بلجيكا". وكان طبيعيًّا أن تلقى هذه الدّعاية إقبالًا من قبل الشّرائح الفقيرة التي رأت فيها فرصة للخلاص من الفقر والتوجّه نحو الفردوس الموعود، حيث ارتفع عدد الذين هاجروا إلى بلجيكا من ٤٠٠ شخص عام ١٩٦٤ إلى ٤٠٠٠٠ بحلول عام ١٩٧٤. إلا أنّه بعد تدهور الاقتصاد العالميّ خاصّة بعد عام ١٩٧٣، وما واكبه من أزمة نفط، بدأت بعض المشاكل تطفو على السّطح، ممّا أدّى بالحكومة البلجيكيّة إلى إلغاء الاتفاقيّة نهائيًّا عام ١٩٧٤[٤٠]. لذلك، أصبحت الهجرة تعتمد على الجهد الفرديّ وشبكة الأقرباء والأصدقاء.

وفي الفترة ١٩٧٤–١٩٨٩؛ بعد إلغاء الاتفاقيّة، أخذت الهجرة منحًى آخر سمّي بمرحلة التجمّع العائليّ، حيث أخذ الرجال الذين هاجروا وحدهم في السّابق يستقدمون زوجاتهم وأبنائهم، بعدما قرّروا الاستقرار نهائيًّا في

---

[٣٧] - هاشم نعمة فياض، "تعليم اللغة العربية في هولندا، **الشرق الأوسط**، ١٢ أيار/ مايو، ٢٠٠١.

[٣٨] - عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج بلجيكا كنموذج**، ط ١، (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ٢٠١٠)، ص ١٢-١٣.
في الواقع، كانت البداية مع العمالة الإيطالية إلا أنه مع مرور الوقت، بدأ التذمر يسود أوساط العمالة الإيطالية في المناجم وأخذت الشكاوي تصل الحكومة الإيطالية التي أوقفت إرسال العمالة إلى بلجيكا.

[٣٩] - علماً أن الباحثة آن فريني تشير إلى أن السلطات المغربية هي التي بادرت واقترحت على نظيرتها البلجيكية إمكانية إرسال عمال مغاربة للعمل في بلجيكا منذ عام ١٩٥٧، (عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج...**، مصدر سبق ذكره، ص ١٣).

[٤٠] - عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج بلجيكا كنموذج**، مصدر سبق ذكره، ص ١٣-١٥.

بلجيكا. لذلك ارتفعت نسبة النساء بشكل كبير في صفوف الجالية كما يبيّن الجدول والشّكل التّاليان، ممّا أضفى عاملًا مهمًّا للاستقرار، وأخذت فرصة العودة إلى المغرب تتلاشى شيئًا فشيئًا[٤١].

جدول (٦) تطوّر النّسبة المئويّة للرّجال والنّساء في صفوف الجالية المغربيّة في بلجيكا للفترة ١٩٦١-٢٠٠١

النوع	١٩٦١	١٩٧٠	١٩٨١	١٩٩١	٢٠٠١
الرجال	٧٠,٠٧	٦٧,١١	٥٥,٥٤	٥٣,٥٢	٥٣,٨٢
النساء	٢٩,٩٣	٣٢,٨٩	٤٤,٤٦	٤٦,٤٨	٤٦,١٨

- المصدر: عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج بلجيكا كنموذج**، ط ١، (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ٢٠١٠)، ص ١٥.
-

شكل رقم (٣) تطوّر النّسبة المئويّة للرّجال والنّساء في صفوف الجالية المغربيّة في بلجيكا للفترة ١٩٦١-٢٠٠١ [٤٢]

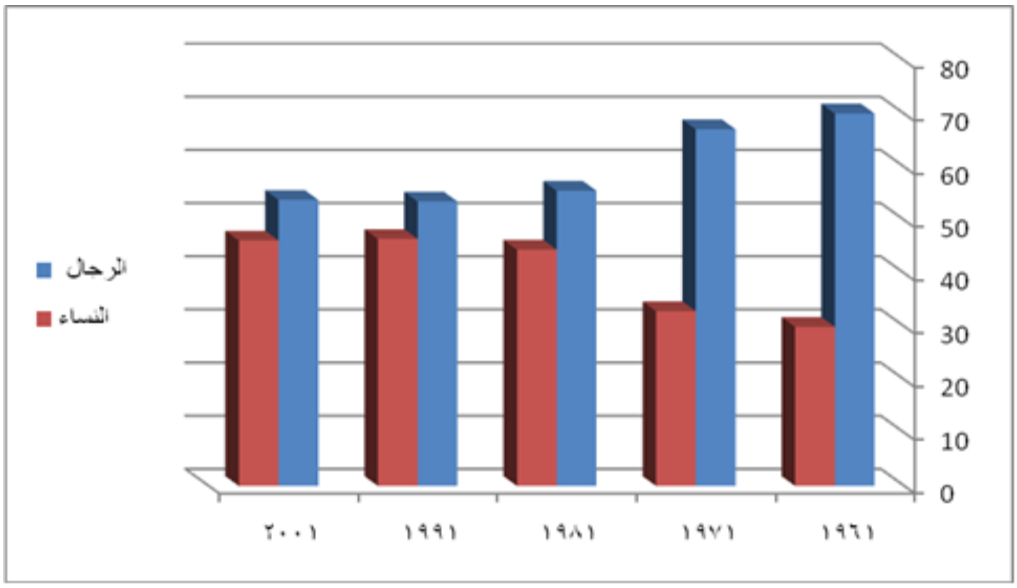

وفي الفترة ١٩٩٠-١٩٩٥، بدأ الاقتصاد البلجيكيّ يعاني من بعض المشاكل، وارتفع معدّل البطالة فأخذت الصّحافة تشير إلى المهاجرين كسبب للمشكلة. وتعزّز هذا المناخ بصعود اليمين المتطرّف عقب انتخابات عام ١٩٨٨ البلدية، ممّا حدا بالحكومة في عام ١٩٨٩ إلى تشكيل هيئة ملكيّة للبحث وإعادة النظر في سياسة الهجرة، والتي ركّزت عملها على الجاليتين المغربيّة والتركيّة.

[٤١] - المصدر نفسه، ١٥.
[٤٢] - كل الرسوم البيانية من إعداد الباحث، ما لم يتم ذكر مصدر غيره.

وفي الفترة ما بعد ١٩٩٥، تزايد طلب الحصول على الجنسيّة البلجيكيّة لضمان البقاء والحصول على فرص العمل. وكان المغاربة أكثر الفئات المهاجرة التي ترغب في الحصول على الجنسيّة مقارنةً بالجالية التركيّة والكونغوليّة. حيث ارتفع عدد الحاصلين على الجنسيّة سنويًّا من نحو ٢٢٠٠ عام ١٩٩١، إلى نحو ٢٥٠٠٠ عام ٢٠٠١؛ بحيث أصبح المغاربة يشكّلون ٢٧% من مجموع الأجانب الحاصلين على الجنسيّة البلجيكيّة. وقد شجّعهم على ذلك كون الحصول على الجنسيّة البلجيكيّة لا يفقدهم جنسيّتهم المغربيّة[٤٣].

أمّا الهجرة إلى إسبانيا فقد كانت متأخّرة مقارنةً مع دول غرب أوروبا الأخرى، حيث بدأت في التّزايد من بداية الثّمانينيّات. وقد شكّل المهاجرون المغاربة أكثر من ثلاثة أرباع جميع الأفارقة المهاجرين، وكوّنوا أكبر مجموعة أجنبيّة في إسبانيا خلال الفترة ١٩٩٨-٢٠٠٣[٤٤]. وأكّدت إحصاءات رسميّة إسبانيّة عن شؤون الهجرة، أنّ المغاربة يتصدّرون الجاليات الأجنبيّة المقيمة بشكل قانونيّ حتّى كانون الأوّل/ ديسمبر ٢٠٠٩. حيث شكّلوا أكبر جالية أجنبيّة بما مجموعه ٧٦٧,٧٨٤ نسمة، يتوفّرون على بطاقة الإقامة. وأشار المصدر ذاته أنّ المهاجرين الرومانيّين يحتلّون المرتبة الثانية بعد المغاربة، يليهم مهاجرو الإكوادور وكولومبيا وبريطانيا على التّوالي[٤٥].

وقد قرّرت الحكومات الأوروبيّة وقف الهجرة عام ١٩٨٤، وتشجيع العمالة المهاجرة على العودة إلى بلدهم الأصليّ مقابل تعويض ماليّ، وقد عاد عدد من هؤلاء المهاجرين المغاربة ومعظمهم في سنّ التّقاعد أو مصابون بأمراض مزمنة[٤٦]. هكذا كانت استفادة المغرب من هؤلاء محدودة في مجال خبراتهم.

ظلّت هجرة العمالة المغربيّة إلى البلدان العربيّة وبالأخصّ المنتجة للنّفط، تشكّل نسبة قليلة مقارنة مع البلدان الأوروبيّة التي استقطبت العدد الأكبر كما يبيّن الجدول التالي، وهذه مفارقة يفترض أن تحظى بالبحث المعمّق، وخصوصًا من قبل واضعي سياسات الهجرة في الدول المستقبلة للعمالة الأجنبيّة غير العربيّة في بلدان الخليج العربيّ، وأن ينظّم استقدام العمالة ضمن اتّفاقيات التّعاون الاقتصاديّ العربيّ على مستوى الجامعة العربيّة أو في أيّ إطار آخر أكثر فعاليّة.

---

[٤٣] - عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج...**، مصدر سبق ذكره، ص ١٦-١٧.

[44] - Jorgen Carling, "Unauthorized Migration from Africa to Spain", *International Migration*, Vol. 45 (4) 2007, p. 8. علما أن عدد الأفارقة ارتفع في إسبانيا بشكل سريع سواء المهاجرين بشكل شرعي أو غير شرعي. وهم الآن يشكلون أكثر قليلا من ربع جميع الأجانب المقيمين بشكل قانوني. وزاد عدد حاملي الإقامة من الأفارقة من ١٧٩،٠٠٠ إلى ٤٣٣،٠٠٠ خلال نفس الفترة. (المصدر نفسه).

[٤٥] - صحيفة **العلم** المغربية، آذار/ مارس ١٦،٢٠١٠.

[٤٦] - أحمد البكاي، **وضعية الطفل المغربي في المهجر: هولندا نموذجا**، (الرباط: مطبعة إليت، ١٩٩٤)، ص ١٩.

جدول رقم (٧) تقديرات المهاجرين المغاربة المقيمين بشكل قانونيّ ويعيشون خارج المغرب

الدول الغربية	السنة	العدد
فرنسا	٢٠٠١	٨٤٠,٠٠٠
هولندا	٢٠١٠	٣٤٥,٠٠٠
بلجيكا	٢٠٠١	٢٠٣,٠٠٠
ألمانيا	١٩٩٩	٩٨,٠٠٠
إسبانيا	٢٠٠٩	٧٦٧,٧٨٤
إيطاليا	٢٠٠٢	٢٥٨,٠٠٠
المملكة المتحدة	٢٠٠١	٥٠,٠٠٠
الدول الاسكندنافية	٢٠٠١	١٠,٠٠٠
الولايات المتحدة	٢٠٠٠	٨٥,٠٠٠
كندا	٢٠٠٠	٧٠,٠٠٠
مجموع الدول الغربية	–	**٢,١٢ مليون**

الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	السنة	العدد
ليبيا	١٩٩٢	١٢٠,٠٠٠
الجزائر	١٩٩٢	١٠٠,٠٠٠
تونس	١٩٩٢	٢٤,٠٠٠
السعودية	١٩٩٢	١٥,٠٠٠
مجموع الدول العربية	–	**٢٥٩,٠٠٠**

* الأعداد الحقيقية للمغاربة في إسبانيا وإيطاليا من المرجح أن تكون أكثر من ذلك بكثير بسبب الهجرة الكبيرة غير الموثقة.

* أعداد المغاربة المهاجرين إلى ليبيا والجزائر وتونس والسعودية من المحتمل قد انخفضت عقب حرب الخليج الثانية ١٩٩٠-١٩٩١.

- Sources: Hein de Haas, op. cit., p. 15, CBS, Holland,
- صحيفة العلم المغربية، آذار (مارس) ١٦، ٢٠١٠

وإذا كان معظم الذين هاجروا في الماضي من أجل توفير لقمة العيش كمستخدمين أو عبر إنشاء مشاريع تجاريّة متواضعة، إلا أنّ الظّاهرة تعدّت هذا الإطار التقليديّ، لتشمل أيضًا العديد من ذوي الكفاءات الذين أصبحوا يغادرون المغرب سواء لإكمال دراستهم، أو هروبًا من واقع البطالة بعدما تبخّرت أحلامهم.

وباتت البلاد مستنزفة عبر مواكب الطلّبة والباحثين وذوي الكفاءات المتّجهة إلى الخارج، وازدادت وتيرة الهجرة الطلابية لدرجة أنّ الاستطلاعات تشير إلى أنّ أكثر من ٧٥% من الطلبة المستجوبين يرغبون في

مغادرة المغرب، بينما ١٣% فقط هم الذين يحلمون بالبقاء والحصول على وظيفة. كما تشير معطيات أخرى أنّ المغرب يحتلّ المرتبة الثانية عربيًّا فيما يخصّ هجرة الكفاءات[٤٧].

وحسب إحصاءات وزارة الماليّة المغربيّة، بلغ عدد المغتربين المغاربة نحو ثلاثة ملايين نسمة، وهو رقم يشكّل قرابة ١٠% من سكّان البلد[٤٨]، رغم أنّ هذا الرقم أقلّ من معطيات أخرى جرت الإشارة إليها أعلاه، فاستنادًا لمصدر رسميّ آخر عام ٢٠١١، ارتفع عدد أفراد الجالية المغربيّة في الخارج خلال العشر سنوات الأخيرة إلى ما يزيد عن خمسة ملايين نسمة[٤٩].

أسباب الهجرة

ارتبطت الهجرة من بلدان المغرب العربيّ بمرحلة الاستعمار وما تلاها، فبعد غزو واستعمار هذه المنطقة قدمت أعداد كبيرة من الأوروبيّين لغرض الإقامة وقد سيطروا على الثروات المعدنيّة والزراعيّة ودفعوا الفلاحين إلى الأراضي الجافّة والمجدبة، واستحوذوا على أكثر الأراضي خصوبة. وقد كانت هذه الممارسات سببًا في هجرة أبناء المغرب العربيّ إلى الخارج وبالأخصّ إلى أوروبا. وقد شكّلت فرنسا أكبر قطب جذْب، وذلك يعود أساسًا إلى الروابط الاستعماريّة التي كانت قائمة بينها وبين دول المغرب العربيّ[٥٠].

ولإيضاح ذلك، نستعرض بعض الأمثلة الصّارخة من المغرب، منها حالة منطقة سوق أربعاء الغرب، التي تقع في قلب منطقة زراعيّة تتوفّر على أخصب الأراضي الزراعيّة، وتستفيد من مناخ ممطر. لقد تم الاستيلاء عل جزءٍ كبير من هذه الأراضي الخصبة من قبل المستوطنين، والشركات الزراعيّة الأجنبية منذ السّنوات الأولى للاحتلال. وأدّت السياسة الزراعية المعتمدة على المكننة، والتنظيم الرأسماليّ، ونظام التّأجير، إلى تحطيم البنيات الزراعيّة ما قبل الرأسمالية في المنطقة، وتهميش الفلاحين وبروز ظواهر التفكّك، التي انعكست من خلال هجرة ريفيّة كثيفة وسريعة الوتيرة نحو المراكز الحضريّة القريبة (القنيطرة والدار البيضاء). كما شجّعت الحماية الاستعماريّة على بروز فئة جديدة من الملاكين المغاربة المتواطئين مع السّلطة

---

[٤٧] - عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج...**، مصدر سبق ذكره، ص ٥.
[٤٨] - محمد عارف، "حركة الكفاءات العربية، الإقليمية والدولية"، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩.
[٤٩] - هذا ما صرّح به الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالجالية المغربية المقيمة بالخارج، محمد عامر، الأحد ١٠ نيسان/ أبريل ٢٠١١ في برلين، عن موقع هسبريس: http://www.hespress.com/
[٥٠] - هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢.

الاستعماريّة، من بينهم عناصر كانت تنتمي إلى الجهاز الحكوميّ التقليديّ، كبعض "القادة" والأعيان الذين احتفظوا بملكيّتهم القديمة، وأضافوا إليها ما تبقّى من الأراضي الجماعيّة التي استحوذ عليها المستوطنون.

سياسة الاستيلاء على الأراضي من قبل المستوطنين ومن الشّركات الكبرى، بدأت تعطي مفعولها الاجتماعيّ السّلبيّ، حيث تحوّل الفلاح إلى عامل زراعيّ، وأصبح القطاع الزراعيّ التقليديّ مهدّدًا، وغير قادر على منافسة الإنتاج العصريّ. أمّا الأغلبيّة السّاحقة من المستوطنين، فقد كانوا يرفضون كلّ سياسة يستفيد منها الفلاح التقليديّ، ويعملون كلّ ما في وسعهم لإحكام الخناق على الفلاح المغربيّ وإقصائه من الأراضي التي ورثها عن أجداده[٥١]. علمًا بأنّ عدد الفرنسيّين قد ازداد في المغرب، أكثر من سبعة أضعاف خلال واحدٍ وثلاثين عامًا، كما يبيّن الجدول التّالي:

جدول رقم (٨) تطوّر عدد الفرنسيّين في المغرب للفترة ١٩٢١– ١٩٥٢

١٩٢١	١٩٢٦	١٩٣١	١٩٣٦	١٩٤٧	١٩٥٢
٥١,٥٥٠	٧٤,٥٥٨	١٢٨,١٧٧	١٥٢,٠٨٤	٢٦٦,١٣٣	٣٦٠,٠٠٠

- المصدر: عبد الله البارودي، **المغرب الإمبريالية والهجرة**، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

إنّ انتشار الفقر في هذه المنطقة، يؤشّر على قسوة الظروف التي كان يعيشها السكّان خلال هذه الفترة من الوجود الاستعماريّ. هذه الظّواهر كانت نتيجة حتميّة للتغيّر العنيف والمفاجئ الذي أدّى إلى تحطيم البنى التقليديّة، دون إدماج الفئات الاجتماعيّة التي تكوّن قاعدة الهرم الاجتماعيّ في النظام الجديد[٥٢]، والتي شكّلت نتيجة لذلك مصدرًا للهجرة إلى المدن والخارج.

وعلاوة على الغزو العسكريّ، فإنّ تدمير القاعدة الاقتصاديّة للفلاحين الذين شكّلوا ٩٥% من مجموع السكّان في ذلك الوقت، كان في نظر "ليوتي"؛ الحاكم الفرنسيّ وخلفائه، إحدى أنجع الوسائل الهادفة إلى القضاء على التكوينات الاجتماعية القائمة، وجرّ الفلاحين إلى العمل الأجير. وكما حصل في الجزائر بعد احتلالها عام ١٨٣٠، فقد سُنَّت وطُبِّقت أعدادٌ كبيرةٌ من النّصوص القانونيّة، التي كان هدفها الوحيد تنظيم نهب أراضي الفلاحين. وأقام المستعمرون على الأراضي الخصبة على طول محاور الطّرق، وفي السّهول المروية.

[٥١] - محمد الدهان، "جاك بيرك والمغرب"، **المجلة العربية لعلم الاجتماع "إضافات"**،٧، (٢٠٠٩). ٥٩-٦١.
[٥٢] - المصدر السابق، ص ٥٩-٦١.

وفي سهل سوس وحده، وضعت ٤٥ ألف هكتار من الأراضي تحت تصرّف الاستيطان. ليس بالصّدفة إذًا؛ شكّلت منطقة سوس حتّى السّنوات الأخيرة، القاعدة الأساسيّة لحركات الهجرة الداخليّة والخارجيّة[٥٣].

وفي منطقة دكالة في المغرب، استطاع الاستعمار الفلاحيّ أن ينتزع نحو ثلث المساحة الزراعيّة التي كان السكّان يستغلّونها، وهي نسبةٌ مهمّةٌ جدًّا مقارنةً مع المناطق التي تعتبر عادةً، مناطق تكثّف الاستعمار الفلاحيّ في المغرب، رغم أنّ كثافتها السكانيّة حينئذ، مقارنة بدكالة هي أقلّ بكثير، مثل حالة سهل الغرب. وسيكون لهذا أثر كبير في الموارد واستفحال الأزمة. وقد أطلق هذا العنان لهجرة كثيفة في الثلاثينيّات والأربعينيّات من القرن الماضي؛ الشّيء الذي جعل من دكالة منطقة طاردة للسكّان وهي سمة ما زالت تميّزها حتّى الآن، ويلاحظ ذلك من خلال مقارنة معدّل نموّ السكّان في ريف دكالة مع متوسّط نموّ مجموع السكّان المغاربة[٥٤].

بالإضافة إلى تلك العوامل، التي لعبت دورا حاسما في انطلاق الهجرة الداخلية والخارجية توجد أسبابٌ أخرى منها الظروف المناخية حيث تتميز كمية سقوط الأمطار والثلوج في المرتفعات بتذبذبها من سنة إلى أخرى. فقد شهد المغرب سنوات جافّة خلال العقود الماضية خصوصًا خلال عقدي الثمانينيّات والتسعينيّات. فإذا كانت سنوات ١٩٤٤– ١٩٤٥و ١٩٥٦– ١٩٥٧ و١٩٦٥– ١٩٦٦ و ١٩٨٠– ١٩٨١و١٩٩١–١٩٩٢ من أجفّ السّنوات التي عرفتها البلاد فإنّ تأثير جفاف العقود الأخيرة كان له دورٌ كبير في تغيير الخريطة الديمغرافية[٥٥] نتيجة المشاكل الاقتصادية الكبيرة الناتجة عنه حيث من الثابت عندما تزداد الأمطار تقلّ الهجرة والعكس صحيح. هذا التغيير لعبت فيه الهجرة الداخلية الدور الأكبر والتي تساهم في النهاية في تغذية الهجرة الخارجية.

وتقع جذور الهجرة السكّانية من الجزائر إلى فرنسا، ضمن التفاعل المعقّد بين عوامل الطّرد والجذب، فالأولى تشمل العمليات التي أوجدت العوز والمجاعة في ريف الجزائر المستعمرة والثانية تتمثل في الطلب المتزايد على القوى العاملة غير الماهرة لاستخدامها في الاقتصاد الفرنسي. فاستعمار الجزائر بين ١٨٣٠–١٩٠٠ كان له تأثيرٌ مدمّرٌ ضخمٌ في الاقتصاد وفي بنية المجتمع التقليدية من خلال الاستيلاء الضّخم على

[٥٣] - عبد الله البارودي، **المغرب الإمبريالية والهجرة**، مصدر سبق ذكره، ص٤٥-٤٦.

[٥٤] - عبد اللطيف جمال وإسماعيل خياطي، "التزايد الديمغرافي والتحول الزراعي بإقليم دكالة"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، ٤، (١٩٩٩). ص ١٢١-١٢٢.

[٥٥] - **محمد رفيق وعبد الغني كرطيط؛ "الجفاف في المناطق المجاورة لفاس: الانعكاسات وتدهور المنظومة البيئية بهوامش المدار الحضري والأخطار الناجمة عنها"؛ مجلة البحث العلمي، عدد ٥٣ يونيو، (٢٠١٠). ص ٤٥.**

الأراضي الزراعية، وترحيل القبائل من أماكنها، وتحطيم الصناعة الحرفيّة، وفرض الضرائب الثقيلة، والتّجنيد القسريّ للعمل وإفقار الفلاحين الذين كانوا بشكلٍ ثابت عرضة للمرض والمجاعة. وبهذه الطريقة أوجد النّظام الاستعماريّ احتياطيًا كبيرًا من البطالة والعمالة الزراعيّة البائسة الفقيرة التي كانت جاهزة للاستخدام بعد عام ١٩٠٠ عندما واجه الاقتصاد الفرنسيّ نقصًا فيها[٥٦]. وهذا التحليل يتّفق مع ما ورد في الخلفية النظرية من دور الاستعمار في انطلاق الهجرة.

كانت فرنسا قد واجهت خلال الفترة ١٩٠٠-١٩٣٩ نقصًا في العمالة بشكلٍ غير مسبوق، ونتج هذا بسبب انخفاض معدل المواليد على نطاق واسع، وترافق مع خسائر بشرية كبيرة في الحرب العالمية الثانية. ودون استخدام العمالة الأجنبية كان الاقتصاد الفرنسي سيتعوّق بشدة، وكانت استجابة الحكومة والقطاع الصناعيّ الخاصّ هي تطوير أوّل نظام في أوروبا الحديثة، لاستخدام العمالة الأجنبيّة على نطاقٍ واسع.

فقد كانت فرنسا في عام ١٩٣٠، تحوز أعلى نسبة من الأجانب في أوروبا كلّها. وفي إحصاء ١٩٣١ شكّل المهاجرون نسبة ٧% من مجموع السكّان، منهم ١٠٢,٠٠٠ انحدروا من شمال أفريقيا.

ومن أسباب استقدام فرنسا للمهاجرين حاجتها إليهم في الجهد الحربي خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبعد انتهاء الحرب، تحوّل هؤلاء المهاجرون للعمل في المصانع والمزارع والأعمال الأخرى ليساهموا في إعادة بناء الاقتصاد الفرنسي الذي أنهكته الحرب[٥٧].

ومن أسباب الهجرة الأخرى انخفاض الأجور، ففي سيدي أفني مثلًا؛ والتي كانت مصدرًا للعمالة المهاجرة، كان ٦٠% من مجموع أرباب الأسر هناك لا يتعدى دخلهم ٢٠٠٠ درهم في الشهر، ونسبة صغيرة جدا تعادل ٥% يفوق دخلها ٧٠٠٠ درهم شهريًا. وكان ١٥% من الأسر يتوفر على ميزانية شهرية ناقصة تتطلب الدعم العائلي الخارجيّ.

إن التحليل الدقيق لخصوصيات الهجرة لعيّنة من ١٠٠ شخص من الجالية المغربية في الخارج عام ٢٠٠٠، والذين سبق لهم أن سكنوا في سيدي أفني قبل هجرتهم، يشير إلى أنّ الهجرة الدوليّة من آيت باعمران (من مناطق سيدي أفني) هي هجرة إرادية شملت على الخصوص سكّان القرى. وأنّ العامل الأوّل المصرّح به

---

[56] - Neil MacMaster, **Colonial Migrants and Racism: Algerians in France**, 1900-1962, New York, Macmillan Press, , 1997, pp. 1-12.

[٥٧] - هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢.

كدافع أساسيّ للهجرة هو العامل الاجتماعيّ (٦٧%). وأمّا الأسباب الاقتصاديّة فتمثّل العامل الأخير المصرّح به بعد الأسباب الاجتماعيّة والجفاف[٥٨].

إذًا، هناك العديد من الأسباب التي تقف وراء هجرة العمالة من المغرب العربيّ إلى أوروبا، فالظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة التي قادت إلى الفقر والحرمان والاضطهاد، تدفع المواطن إلى الهجرة خارج بلده بحثًا عن العمل. وفي حالة المهاجرين الجزائريّين، فإنّ نحو ٧٠% منهم قد هاجروا بحثًا عن العمل. وترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٧٩% بالنسبة إلى المهاجرين الذين تتراوح أعمارهم بين ٣٥-٤٤ سنة[٥٩]. والملاحظ أن عدد المهاجرين من بلدان المغرب العربي ازداد عقب استقلالها، وامتدّت وجهة هجرتهم إلى بلدان أخرى غير فرنسا، مثل بلجيكا وألمانيا وهولندا وإسبانيا وإيطاليا وغيرها. وقد ساعد على هذه الزيادة ضعف النموّ الاقتصادي، وانعدام التوازن بين عملية التنمية الاقتصادية- الاجتماعية الضعيفة في الأساس والنموّ السكاني المرتفع، ممّا أدّى إلى ارتفاع معدلات البطالة، وبالأخصّ في أوساط الشباب المتطلّع أكثر للهجرة.

ومن ناحية أخرى، فقد أدّت عدّة عوامل من بينها انخفاض معدّلات النموّ السكانيّ في أوروبا؛ ودخول اقتصاديات الدول الأوروبيّة الغربية مرحلة الازدهار الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية خصوصًا في عقد الستينيّات؛ ثم عزوف الأوروبيّين عن العمل في مهن ذات مكانة اجتماعيّة منخفضة؛ وهجرتهم إلى بلدان أوروبيّة أخرى تتمتع بمستويات أجور مرتفعة؛ مثل هجرة الألمان إلى سويسرا؛ والدنماركيّين إلى السويد؛ إلى أن تكون العمالة المهاجرة ضرورة بنيوية بالنسبة إلى اقتصاديات أوروبا الغربية[٦٠]. هكذا، لا يمكن تعليل ظاهرة الهجرة بمجموعة محدّدة من الأسباب، فالظاهرة نفسها تولّد أسبابا أخرى تعيد إنتاجها دون أن تكون السّبب الأوّل في نشوئها.

[٥٨] - محمد بنعتو، "سيدي أفني: إشكالية الموارد البشرية والهجرة السرية"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية "فكر"**، ٤، (٢٠٠٧). ص ٢٦.
[٥٩] - هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢.
[٦٠] - المصدر نفسه، ١١٢.

تطوّر هجرة العمالة المغربيّة إلى هولندا

رغم أنّ ظاهرة الهجرة إلى هولندا[٦١] حديثة نسبيًّا مقارنةً بفرنسا، إلا أنّها تشكّل جزءًا من التيار العامّ لهجرة العمالة المغربيّة إلى أوروبا، والذي سبق أن درسنا جانبًا من تطوّره تاريخيًّا. ويلاحظ أن الجيل الأول من المغاربة الذين هاجروا إلى هولندا في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، استمرّ في الإقامة فيها، بعد جمع شمل أسرهم أو تكوين أسر جديدة في المهجر عن طريق الزواج، وهذا ينطبق بتقديرنا على المغاربة في الدول الأوروبية الأخرى.

وقد كان هذا الجيل كلّه تقريبًا من الشباب الذكور. وعملت العمالة ذات المؤهّلات المنخفضة غالبًا في الصناعة. وكانت الحكومة الهولندية قد عقدت اتّفاقًا مع المغرب لتنظيم جلب العمالة المغربيّة رسميًّا في ١٤ أيار/ مايو ١٩٦٩، لكن هذه السياسة لم تستمرّ بسبب أزمة النّفط عام ١٩٧٣ وما رافقها من انكماش اقتصاديّ.

يتّضح من الجدول التالي والشكل الذي يرافقه، التطوّر السريع في زيادة عدد أفراد الجالية المغربية منذ عام ١٩٧١، ونتيجة تباطؤ ثمّ توقّف الهجرة تقريبًا من المغرب، انعكس هذا الاتجاه في ارتفاع النّسبة المئويّة للجيل الثاني مقارنةً بالجيل الأوّل (وذلك كما يفيد مكتب الإحصاء المركزيّ الهولنديّ)، ويشمل الجيل الثاني أبناء المهاجرين الذين ولدوا في هولندا.

حدث هذا لأوّل مرّة عام ٢٠٠٨، حيث وصلت نسبة الجيل الثاني إلى ٥٠,١% من مجموع المغاربة، وارتفعت إلى ٥٠,٨% عام ٢٠١٠، ومن المتوقع أن تصل إلى ٦١% عام ٢٠٥٠. هذا يعني أن نموّ المغاربة في هولندا بات يعتمد بشكل أساسيّ على الزيادة الطبيعيّة، وعلى جمع شمل الأسر أو الزّواج من المغرب، بعد أن كان يعتمد بشكل رئيس على المهاجرين الجدد.

[٦١] - ظلت هولندا في الحقيقة بلدا للهجرة الداخلة يستقطب المهاجرين منذ عام ١٩٦٠ حيث تفوق عددهم على عدد المهاجرين منها. ويعود ذلك للنمو الاقتصادي الذي شهدته هولندا سوية مع دول أوروبا الغربية في العقد المذكور وأيضا بسبب نقص العمالة الذي نتج من الخسائر البشرية الضخمة خلال الحرب العالمية الثانية. وقد استوطن هولندا منذ العام المذكور نحو ٤,٢ مليون مهاجر ربع هذه العدد يعتبر من الهولنديين العائدين إلى بلدهم. وبلغ مجموع الهجرة الخارجة ٣,٢ مليون نصف هذا العدد من الذين ولدوا في هولندا. إذن الفرق بين تياري الهجرة بلغ مليون مهاجر. لكن هذا الاتجاه تغير منذ عام ٢٠٠٣ بسبب الارتفاع السريع للهجرة الخارجة وانخفاض الهجرة الداخلة فمنذ عام ٢٠٠٢ تراجعت الأخيرة بتأثير تراجع النمو الاقتصادي والتشدد في خطة قبول طالبي اللجوء والشروط المتشددة لجمع شمل العائلة والزواج من خارج هولندا إضافة للإجراءات المتعلقة بخفض عدد المهاجرين غير الشرعيين. أما ارتفاع الهجرة الخارجة فيعود إضافة لتراجع النمو الاقتصادي إلى عوامل أخرى مثل توقع تحسن ظروف العيش في بلدان الهجرة الجديدة. وقد نمت الهجرة الخارجة خصوصا وسط السكان غير الأصليين (الأجانب) من المنحدرين من الدول غير الغربية لكل من الجيل الأول والثاني. وكان صافي الهجرة سالبا حيث بلغ ٢٧ ألف عام ٢٠٠٥ ولكن السؤال الذي يطرح هل أن هذا التغيير سيكون وقتيا أم دائما؟ تشير معظم التوقعات السكانية لمكتب الإحصاء المركزي الهولندي إلى أن ارتفاع أعداد المهاجرين من هولندا سوف يستمر عدة سنوات أخرى لكن سيتبعها مرة أخرى تصاعد تيار الهجرة الداخلة إلى البلد. أحد أسباب هذا التوقع هو تحسن النمو الاقتصادي الذي سيعمل باتجاه جذب المهاجرين خصوصا هجرة العمالة وخفض الهجرة الخارجة.

جدول رقم (٩) تطوّر عدد المغاربة في هولندا حسب الجيل الأوّل والثّاني للفترة ١٩٧١– ٢٠٥٠

السنة	المجموع	الجيل الأوّل	الجيل الثّاني
١٩٧١	٢٢٠٠٠	–	–
١٩٧٧	٤٥٠٠٠	–	–
١٩٩٦	٢٢٥٠٨٨	١٤٠٥٧٢	٨٤٥١٦
٢٠٠٠	٢٦٢٢٢١	١٥٢٥٤٠	١٠٩٦٨١
٢٠٠٥	٣١٥٨٢١	١٦٨٤٠٠	١٤٧٤٢١
٢٠٠٦	٣٢٣٢٣٩	١٦٨٥٠٤	١٥٤٧٣٥
٢٠٠٧	٣٢٩٤٩٣	١٦٧٨٩٣	١٦١٦٠٠
٢٠٠٨	٣٣٥١٢٧	١٦٧٠٦٣	١٦٨٠٦٤
٢٠٠٩	٣٤٠٠٠٠	١٦٦٠٠٠	١٧٤ ٠٠٠
٢٠١٠	٣٤٥٤١٨	١٦٦ ٠٠٠	١٧٩ ٠٠٠
٢٠٥٠	٤٧٠٥٦١	١٨٠ ٠٠٠	٢٩٠ ٠٠٠

- Sources: Joop Garssen en Coen van Duin, *Bevolkingstrends*, 2e Kwartaal, 2009, p. 21.
- عام ١٩٧١ عن: هاشم نعمة فياض، "تعليم اللغة العربية في هولندا"، **الشرق الأوسط**، ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠١.
- وعام ١٩٧٧ عن: هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦.

شكل رقم (٤) تطوّر عدد المغاربة في هولندا حسب الجيل الأوّل والثّاني للفترة ١٩٧١– ٢٠٥٠

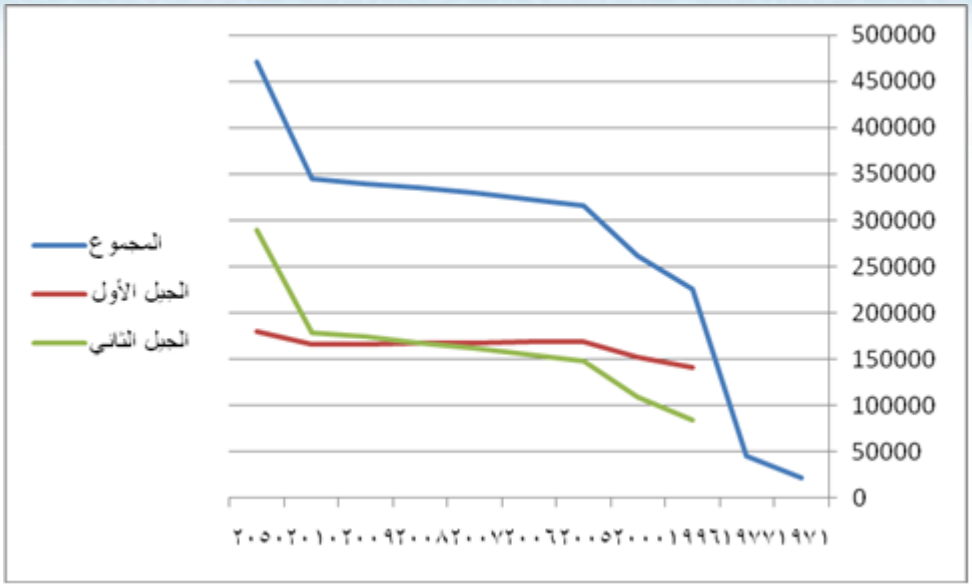

وفي الاتجاه الآخر نجد أنّ هنالك هجرة مغربية خارجة من هولندا، ويلاحظ أنّ البلدان المُفضَّلة لهذه الهجرة عام ٢٠٠٧ هي بلجيكا، والمملكة المتحدة، وتركيا. وتستقطب بلجيكا غالبًا الجيل الثاني من المغاربة والأتراك. ومن الممكن أن يكون لهذا التوجّه علاقة مع القوانين المتشدّدة لجمع شمل الأسرة أو الزّواج من الخارج وانخفاض أسعار المنازل في بلجيكا.

لقد زادت نسبة المهاجرين إلى هولندا من المغاربة والأتراك من بلجيكا من عام ٢٠٠٤، ولكنّها مقارنةً مع الهجرة الخارجة منها قليلة؛ ففي عام ٢٠٠٧ كانت نسبة المهاجرين إلى هولندا هي ثلث نسبة المغادرين منها إلى بلجيكا[٦٢]. وتعكس حركة الهجرة ما يواجهه المغاربة من صعوبات في سبيل الاستقرار في هولندا. وعلى أيّ حال، فإنّ نسبة العائدين إلى المغرب قليلة، تضمّ غالبًا كبار السنّ بعد حصولهم على التّقاعد، أمّا الأبناء فيفضّلون عادةً البقاء.

لقد بلغت نسبة العائدين من المغاربة خلال الفترة من ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٤ إلى وطنهم ١٧%، والأتراك ١٩%، والعراقيين ١٥%، والأفغان ١١%، من المجموع الكلّي لكلّ جالية. في حين ارتفعت نسبة العودة إلى الوطن وسط اليابانيّين إلى ٩٢%، والأمريكيّين ٧٨%، والبريطانيّين ٧١%[٦٣]. ولا يحتاج ارتفاع نسبة العودة وسط مواطني الدول المتقدّمة إلى الكثير من التفسير، حيث أنها بالأساس جاذبة للعمالة المهاجرة.

62 - CBS, *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008, p. 39.
63 - CBS, *Bevolkingstrends*, May, 2006, p. 20.

مصادر هجرة العمالة في المغرب

ينحدر أغلب المهاجرين المغربيّين من الجيل الأوّل إلى هولندا من منطقة الرّيف في شمال المغرب. وهي منطقةٌ فقيرة وذات بنية اجتماعيّة– اقتصاديّة غير متطوّرة. ومن أبرز الأقاليم التي تشكّل أصول المهاجرين: الناظور، والحسيمة، وتطوان، الذين شكّلوا أكثر من نصف المهاجرين من الجيل الأوّل. وينحدر قسمٌ كبير أيضًا من إقليم تازة، ومن المناطق ما بين جبال الريف والأطلس المتوسط، ومن أقاليم ومدن كبيرة مثل: ورزازات، وطنجة، والدار البيضاء، ومكناس، وفاس، ومراكش، والرباط.

وتتصدّر الأقاليم الجنوبية النّسبة الأكبر، بينما تساهم الصّحراء بنسبة أقلّ لا تزيد عن ٠,٢%[٦٤]، وينحدر عدد من المهاجرين من منطقة سوس الجنوبية، ويماثلهم عدد من المنطقة الجنوبية الشرقية لزاكورة[٦٥]. ورغم اتّساع التوزيع الجغرافي لمصادر الهجرة، إلا أنّ أقاليم محدّدة تشكّل المصادر الأساسيّة لهجرة العمالة.

ولأنَّ معظم منطقة الرّيف كان تحت الحماية الإسبانية، فإنّ تيار الهجرة من هذه المنطقة أظهر اتجاها مختلفًا بشدة عن ذلك الذي انطلق من باقي مناطق المغرب التي كانت واقعة تحت الحماية الفرنسية. وبما أن معظم سكان الريف لا يتكلمون اللغة الفرنسية ومعرفتهم قليلة بفرنسا، تركّز توجّه الهجرة من الريف نسبيًّا نحو هولندا وبلجيكا وألمانيا والسويد، وفي الثمانينيات نحو إسبانيا. وهذا يؤكّد تأثير الاستعمار الرئيس في تأسيس اتجاهات الهجرة[٦٦] واستمرارها، كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة النظرية.

ويظهر توزيع المغاربة في هولندا بأن النسبة الأكبر منهم تنحدر من الأقاليم الشمالية الشرقية بنسبة ٣٦% وتازة ١٩%، بالإضافة إلى نسبة كبيرة تنحدر من منطقة الشاوية[٦٧]. وظلت معدلات الهجرة المغربية إلى هولندا مستقرة بشكل عام باستثناء ارتفاع محسوس عامي ١٩٨٠ و١٩٩٠، خصوصا انطلاقا من منطقة الشاوية في العام ١٩٨٠. ويمكن تفسير ذلك بالجفاف القاسي الذي عرفه المغرب في هذه السنة الذي أثّر بشكل مباشر في الإنتاج الزراعي في هذه المنطقة المهمة من الناحية الزراعية.

---

64 - Tineke Fokkema et al, **"**Herkomst en vestiging van de eerste generatie Marokkanen in Nederland", *Bevolkingstrends*, 3e Kwartaal/ 2009, CBS, pp. 52-53.

٦٥ - هاشم نعمة فياض، "تعليم اللغة العربية في هولندا"، مصدر سبق ذكره.

66 - Hein de Haas, "Morocco's Migration transition: Trends, determinants and future scenarios", *Op. Cit.*, p.19.

67 - CBC, *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008, p. 260.

وفي العام ٢٠٠٥ كان ترتيب أصول الجيل الأول من المغاربة في هولندا من النسبة الأعلى إلى الأقل، كالتالي[٦٨]:

١- الشرق.

٢- تازه- الحسيمة- تاونات.

٣- الشاوية- أورديغا.

٤- طنجة – تطوان.

٥- دكالة-عبدة.

٦- الدار البيضاء الكبيرة.

٧- سوس- ماسة – درعه.

٨- مكناس- تافيلالت.

٩- مراكش- تانسيفت- الحوز.

١٠- فاس – بولمان.

١١- الغرب- شاردة- بني حسن.

١٢- الرباط- سلا- زمور- زعير.

١٣- تادلة- أزيلال.

١٤- كليميم- سماره.

١٥- العيون- بوجدور- الساقية الحمراء.

١٦- وادي الذهب- زاغورة .

لقد انعكس توزيع مصادر الهجرة المشار إليها، بشكل مباشر على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي بقيت في الغالب مستمرة بين هذه المناطق والمهاجرين في هولندا، والتي ساهمت بدورها في استمرار تدفّق الهجرة في نفس الاتجاه تقريبًا بالنّسبة إلى الجيل الأوّل.

[68] - *Ibid*., p. 261

التّوزيع الجغرافيّ للمهاجرين في هولندا

يقطن غالبية المغاربة في المدن الأربع الكبرى في هولندا إضافة إلى مدينة الميرا، ففي عام ٢٠٠٨ كان توزيعهم الجغرافي كما يلي: ٩% في أمستردام، ونحو ٩% في أوترخت، وأكثر من ٦% في روتردام، وأكثر من ٥% في دنهاخ (لاهاي)، وأكثر من ٣% في الميرا، كما يوضّح الشّكل التالي.

شكل (٥) النّسبة المئويّة لتوزيع المغاربة على خمس مدن رئيسة عام ٢٠٠٨ [٦٩]

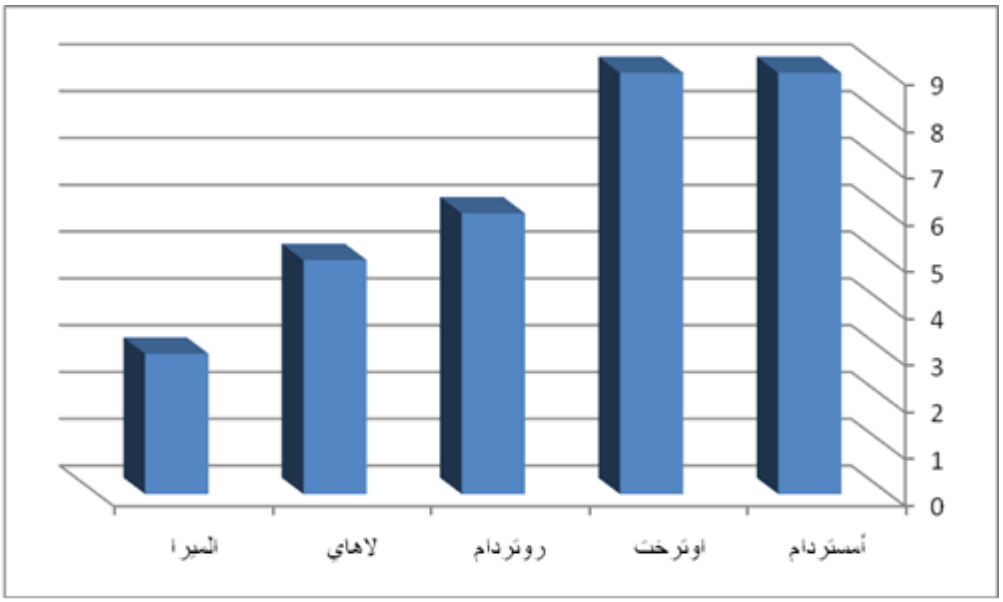

وقد بيّنت الإحصاءات في عام ٢٠١٠، أنّ نحو نصف المغاربة والسوريناميّين يقطنون في المدن الأربع الكبيرة. وتوجد تباينات في التوزيع الجغرافيّ بين هذه الجاليات، حيث نلاحظ أنّ نسبة الأتراك والأنتيليّين القاطنين في المدن الرئيسة تنخفض إلى الثلث، في حين يتوزّع بقيّة المغاربة على البلديّات الأخرى.

وينطبق هذا النمط من التوزيع الجغرافيّ؛ بشكل عامّ، على كلّ الجاليات غير الغربيّة، مع ملاحظة تركّز السوريناميّين في مدينة الميرا[٧٠]. حيث يقطن أربعة من عشرة أفراد من هذه الجاليات في هذه المدن.

ويمكن تفسير هذا التوزيع بأنّ معظم المغاربة هم من العمالة المهاجرة بالأساس تمامًا مثل الأتراك، ولذلك فإنّ حجم فرص العمل في المدن المشار إليها هو ما يستقطبهم. ولا ينطبق هذا النمط على الجاليات التي جاءت

[٦٩] - الشكل البياني من رسم الباحث استنادا إلى :
CBS, *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008, pp. 48-49

[70] - *Bevolkingstrends*, 4e Kwartaal, Holland, 2010, p. 32.

بالأساس اضطراريًّا مثل اللاجئين العراقيين[٧١]، الذين قدم معظمهم في التسعينيات من القرن الماضي، وتركّزوا في البلديات الصغيرة، نتيجة تحكّم عامل إقامة سكنى الأقارب والمعارف. ولكن عند بروز الجيل الثاني، تمارس جاذبيّة فرص العمل دورها في التأثير في التوزيع الجغرافي للسكان، فنلاحظ حدوث انتقال بالنسبة إلى العراقيين من سكنى البلديات الصغيرة إلى المتوسّطة، أمّا أعدادهم في المدن الكبيرة فلا تزال قليلة مقارنة بمجموعهم.

البنية العمريّة والجنسيّة

تظهر البنية العمرية للمغاربة أنّ نسبة الأطفال تحت عمر ١٩ سنة[٧٢]، أعلى بشكل لافت مقارنة بالهولنديّين الأصليين[٧٣]، وكذلك أعلى مقارنة مع الأتراك والعراقيين، ولذلك تقلّ نسبة القوى العاملة المغربية مقارنة بالمجموعات الأخرى، كما يوضّح الجدول التالي والشّكل الذي يرافقه.

جدول رقم (١٠) البنية العمريّة للمهاجرين في هولندا عام ٢٠٠٨

الجاليات	٠- ١٩ سنة %	٢٠- ٦٤ سنة %	٦٤ أو أكثر %	العمر الوسيط سنة
المغاربة	٤١,٣	٥٤,٧	٤,١	٢٦,٩
الأتراك	٣٦,٦	٥٩,٥	٣,٩	٢٨,٧
العراقيون	٣٧,٧	٦٠,٢	٢,٤	٢٨,٣
الهولنديون الأصليون	٢٣,١	٦٠,٨	١٦,١	٤٠,٩

- Sources: CBC, *Jaarraport Integratie bijlage*, Holland, 2008, Table B2-2, p. 4.

شكل رقم (٦) النّسب المئويّة لأعمار المهاجرين في هولندا عام ٢٠٠٨

[٧١] - للمزيد حول هجرة العراقيين إلى هولندا راجع كتابنا: العراق: دراسات في الهجرة السكانية الخارجية"، بالأخص ما ورد في دراسة "سمات البنية السكانية للمهاجرين العراقيين في هولندا"، (بغداد، دار الرواد للطباعة والنشر، ٢٠٠٦) ص ٣٠-٤٥، وكذلك ما صدر عن مكتب الإحصاء المركزي الهولندي.

[٧٢] - في الغالب تحدد الفئة العمرية للأطفال بعمر ٠-١٨ سنة ولكن في المعطيات الإحصائية الهولندية لم نتمكن من الحصول على هذه الفئة العمرية بل ما ينشر يخص الفئة ٠-١٩ سنة.

[٧٣] - يدخل ضمن الهولنديين الأصليين أيضا الأشخاص الذين ولدوا من أب وأم أجنبيين ولدا في هولندا حسب مكتب الإحصاء المركزي الهولندي.

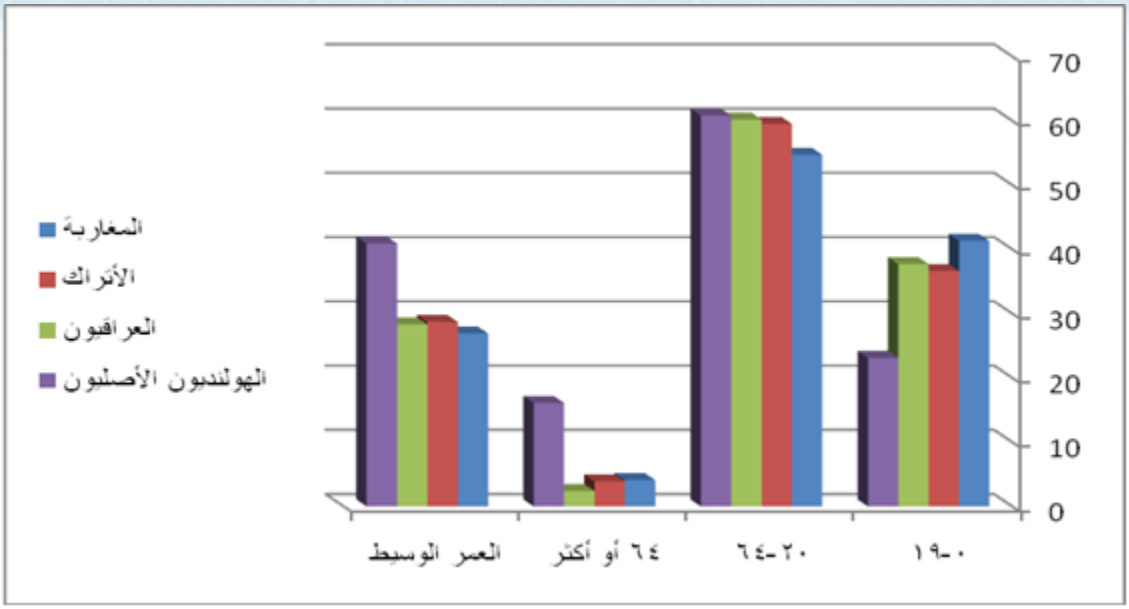

هكذا يكون العمر الوسيط للمغاربة أقلّ بالمقارنة مع الهولنديين الأصليين، أي أنهم أقل شيخوخة وهذا واضح من نسبة الفئة العمرية ٦٥ أو أكثر، التي تتراوح بين ٣-٤% وسط المغاربة، في حين تبلغ ١٦% وسط الهولنديين الأصليين.

ينطبق هذا النمط من البنية العمرية على جميع السكان غير الأصليين من خارج الدول الغربية والمقيمين في هولندا ولكن بنسب متفاوتة. وينطبق أيضًا على الجاليات التي مضى على إقامتها وقت طويل مثل الأتراك والسوريناميين وعلى العراقيين حديثي الهجرة. ويتبين أن هنالك فرقا في العمر الوسيط بين الجيل الأول والثاني؛ فبالنسبة إلى المغاربة هو ٤١ سنة و١٢,٨ سنة على التوالي، أمّا المتوسط العامّ لمجموع الجالية فهو ٢٦,٩ سنة عام ٢٠٠٨.

إنّ التباين المشار إليه يعود إلى أنّ المغاربة والجاليات الأخرى ينحدرون من الدول النامية، التي لا تزال شعوبها تتّسم بالفتوّة نتيجة ارتفاع معدّلات الخصوبة، في حين أنّ هولندا أسوة ببقية الدول الأوروبيّة، تمرّ بمرحلة تراجع معدّل الخصوبة وتقدّم الشيخوخة نتيجة عوامل اجتماعيّة واقتصاديّة وثقافيّة وحضاريّة.

تبلغ نسبة النّوع (عدد الذكور مقابل كلّ مئة من الإناث) للمغاربة في هولندا ١٠٦، وكذلك للأتراك كما يشير الجدول والشّكل التّاليان، وتعتبر هذه المعدّلات مرتفعة نسبيًّا، وستنخفض إلى ٩٧ و٩٨ على التوالي. وتبقى

هذه النسبة منخفضة بشكل لافت للنظر وسط جاليات أميركا اللاتينية، التي تصل إلى ٧٠ مقابل كلّ مئة من الإناث.

جدول رقم (١١) التّركيب النّوعيّ لعدد من الجاليات في هولندا عام ٢٠١٠

الجاليات	المجموع	الذّكور %	نسبة الجنس
المغاربة	٣٤٥٤١٨	٥١,٦	١٠٦
الجزائريون	٧٧٣٣	٥٦,٥	١٣٠
التونسيون	٨٥٥٨	٥٨,٣	١٣٠
العراقيون	٥٢٢٢٤	٥٨,٠	١٣٨
الأتراك	٣٨١٠٠١	٥١,٥	١٠٦
السوريناميون	٣٤٠٥٧٠	٤٧,٥	٩٠
الأنتيليون وجزيرة أروبا الهولندية	١٣٧٠٤٩	٤٩,٧	٩٩
الهولنديون الأصليون	١٣٢١٥٣٨٦	٤٩,٥	٩٨

- المصدر: ترتيب الجدول وحساب نسبة الذكور ونسبة النوع من عمل الباحث استنادا لأرقام www.statline.cbs.nl

شكل رقم (٧) **نسبة النّوع لعدد من الجاليات في هولندا عام ٢٠١٠**

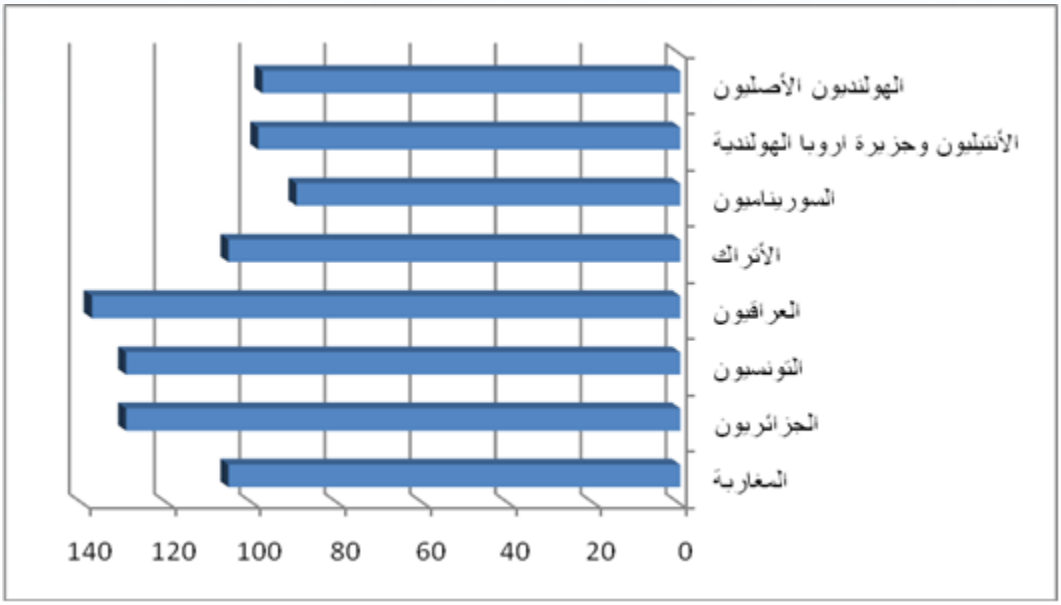

وفي العقود القادمة ستكون نسبة الإناث هي الأكثر بالنسبة إلى جميع الجاليات غير الغربية القاطنة في هولندا، والتي استقرت على هذه النسب بسبب طبيعة الهجرة التي يقدم عليها الذكور أكثر من الإناث. ومن المتوقع أن تبقى نسبة النوع أعلى وسط الجاليات ذات الأصل الأفريقي فقط، رغم أنها ستنخفض بشكل تدريجي من ١١٨ عام ٢٠٠٨ إلى ١٠٢ عام ٢٠٥٠ لكل مئة من الإناث.

أمّا بالنسبة إلى السكّان الأصليّين، فمنذ وقتٍ طويل يفوق عدد النّساء عدد الذكور، وسيستمرّ هذا في المستقبل مع تغييراتٍ بسيطة[٧٤]، وهذا يعود بشكلٍ أساسيّ إلى ارتفاع متوسّط العمر وسط النّساء. ونلاحظ أنّ ارتفاع نسبة النوع وسط العراقيّين يعود إلى إقدام الذكور أكثر من الإناث على الهجرة، بسبب الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية التي مرّ ويمرّ بها العراق.

أمّا التباين مع الهولنديات الأصليات، فيحيلنا إلى طبيعة البنية الاجتماعية–الاقتصادية والحضارية والثقافية لدول الأصل، مقارنةً مع هولندا، حيث حصلت المرأة في الدول المتقدمة على الكثير من حقوقها.

[74] - Joop Garssen en Coen van Duin, *Bevolkingstrends,* 2e Kwartaal, 2009, p. 21.

الخصوبة السّكانيّة

يشير تحليل تطوّر معدّل خصوبة المرأة المغربيّة من الجيل الأوّل للفترة ١٩٩٦-٢٠٠٩، إلى انخفاضه من ٣,٣٧ إلى ٢,٨٨ طفلًا، رغم بقائه مرتفعًا مقارنة مع الجاليات الأخرى كما يبيّن الجدول التالي والشّكل الذي يرافقه، علمًا بأنّ هذا المعدّل كان (٥,١ عام ١٩٨٥)، ويتوقّع انخفاضه أكثر خلال عشر سنوات قادمة.

لكن الملاحظ أنّ هذا المعدّل وسط المغربيات في هولندا أعلى من معدّل النساء المغربيّات في المغرب والذي بلغ ٢,٦ عام ٢٠٠١ وانخفض إلى ٢,٣ طفل عام ٢٠٠٩.([٧٥]) وتنطبق هذه الظاهرة على المغربيات في دول أوروبية أخرى. وتشير توقعات الخصوبة إلى أن المعدل سينخفض أكثر بالنسبة إلى النساء المغربيات والتركيّات ليصبح ٢,٠ و١,٨٥ طفلا على التوالي في منتصف هذا القرن. إن أكبر مجموعة متميزة من الناحية العددية من السكان غير الأصليين والقادمين من الدول غير الغربية هم الأطفال المغاربة الذين ولدوا عام ٢٠٠٧ وكان عددهم ٧٠٠٠. لكن يتوقع أن ينخفض عدد ونسبة المواليد المغاربة بقوة في العقود القادمة، بسبب انخفاض عدد مهاجري الجيل الأوّل والذي ساهم بقوّة في انخفاض الخصوبة. وسيتراجع عدد المواليد المغاربة إلى ٤,٠٠٠ عام ٢٠٢٠ ليصل إلى النصف عام ٢٠٤٩. ولنفس الأسباب سينخفض عدد المواليد الأتراك بقوّة. على العكس من ذلك سيرتفع عدد المواليد الآسيويّين وبدرجة أقلّ عدد مواليد دول أميركا اللاتينية في نفس العام[٧٦]. وظلّ معدّل الخصوبة مرتفعا بشكل واضح فقط وسط المغربيات من الجاليات الكبيرة مقارنة مع النساء الهولنديّات الأصليات. ويتباين المعدّل بين نساء الجيل الأوّل والثاني فهو منخفض بشكل واضح وسط الجيل الثاني لكنه شهد ارتفاعا منذ عام ٢٠٠٠ وهذا ينطبق أيضا وبشكل واضح على نساء الجيل الثاني من الجاليات الكبيرة. وبشكل استثنائيّ اقترب معدّل خصوبة النساء المغربيات من هذا الجيل من معدل النساء الهولنديات. ويلاحظ أنّ هناك تباينًا واضحا في معدّل الخصوبة وسط المجموعات المهاجرة الصغيرة. حيث بلغ معدل النساء الصوماليات من الجيل الأوّل ٣,٢ بينما بلغ معدّل الإيرانيات ١,٢ وهو منخفض بشكل واضح مقارنة حتّى مع النساء الهولنديات عام ٢٠٠٩. وهذا يعود جزئيًّا إلى مستوى التعليم العالي للإيرانيّات. حيث النّساء الحاصلات على شهادة التعليم العالي يلدن أطفالا أقلّ من الحاصلات على الشهادة الثانويّة. ومن بين كلّ المجموعات المهاجرة إلى هولندا حديثًا

[75] - UN, African Statistical Yearbook 2010, New York, p. 280.
[76] - Joop Garssen en Coen van Duin, *Op. Cit.*, pp. 17-18.

يبرز الأشخاص من أصل إيرانيّ حيث يتمتّعون بمستوى دراسيّ عالٍ حتّى أعلى من مستوى الهولنديّين الأصليين[٧٧]. وهذا دليل على أنّ هجرة الإيرانيين تشمل نسبة عالية من أصحاب الكفاءات.

جدول رقم (١٢) معدّل الخصوبة الكليّ لنساء الجيل الأوّل والثّاني للجاليات المقيمة في هولندا للفترة ١٩٩٦– ٢٠٠٩

المجموعات	الجيل الأوّل			الجيل الثّاني		
	١٩٩٦	٢٠٠٠	٢٠٠٤	٢٠٠٩	٢٠٠٠	٢٠٠٤	٢٠٠٩
المغربيات	٣,٣٧	٣,٥٠	٣,٢٥	٢,٨٨	١,٦٥	١,٩٠	٢,٠٤
التركيات	٢,٥٣	٢,٥٣	٢,٢٥	١,٨٩	١,٤٨	١,٥٦	١,٦٩
العراقيات	٣,١٢	٣,١٨	٢,٨٤	٢,٥٦	–	–	–
الصوماليات	٤,٨٦	٤,٤١	٣,١٩	٣,٢٤	–	–	–
الإيرانيات	١,٢٤	١,٤٦	١,٢٧	١,٢٢	–	–	–
الأفغانيات	١,٩٤	٢,٣٥	٢,٧٤	٢,٣٢	–	–	–
السوريناميات	١,٥١	١,٧٧	١,٧١	١,٧٧	١,٥٧	١,٥٧	١,٧٢
الأنتيليات ومن جزيرة أروبا الهولندية	١,٥٩	١,٨٧	١,٧٥	١,٨٤	١,٧٦	١,٧٢	١,٨٠
النساء من الجاليات غير الغربية	٢,٣١	٢,٥١	٢,٢٦	٢,٠٦	١,٦٩	١,٦٧	١,٧٦
النساء من الجاليات الغربية	١,٥٥	١,٥٨	١,٤٨	١,٥٠	١,٥٢	١,٥١	١,٦١
النساء الهولنديات الأصليات	١,٤٧	١,٦٥	١,٦٩	١,٨١	–	–	–
المجموع	١,٥٣	١,٧٢	١,٧٣	١,٧٩	–	–	–

- Source: , CBS, Bevolkingstrends, 4e Kwartaal, Holland, 2010, p. 31.

77 - CBS, *Bevolkingstrends*, 4e Kwartaal, Holland, 2010, p. 31.

شكل رقم (٨) معدّل الخصوبة الكلّي لنساء الجيل الأوّل من الجاليات المقيمة في هولندا عام ٢٠٠٩

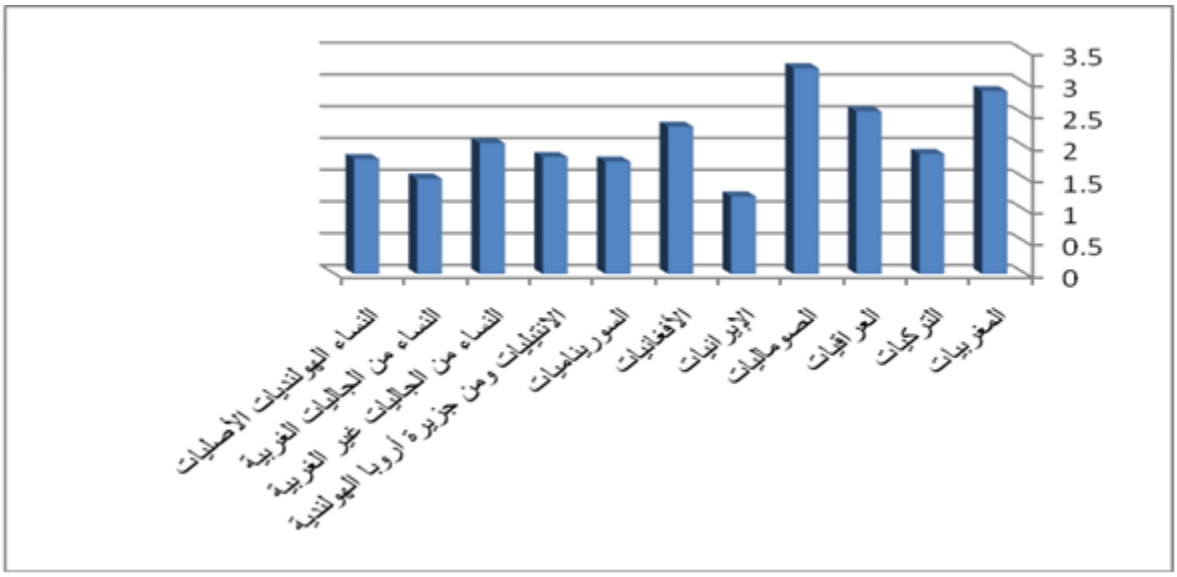

لكن الملاحظ أنّ هذا المعدّل أقلّ وسط المغربيّات في هولندا منه في المغرب والذي بلغ ٢,٦ طفلًا عام ٢٠٠١، وانخفض إلى ٢,٣ طفلًا عام ٢٠٠٩[٧٨]، وتنطبق هذه الظاهرة على المغربيّات في دول أوروبية أخرى. وتشير توقّعات الخصوبة إلى أنّ المعدّل سينخفض أكثر بالنسبة إلى النساء المغربيات والتركيات، ليصبح ٢,٠ و١,٨٥ طفلًا على التوالي في منتصف هذا القرن.

إنّ أكبر مجموعة متميزة من الناحية العددية من السكان غير الأصليين والقادمين من الدول غير الغربية، هم الأطفال المغاربة الذين ولدوا عام ٢٠٠٧ وكان عددهم ٧٠٠٠ طفل. ويتوقع أن ينخفض عدد ونسبة المواليد المغاربة بقوة في العقود القادمة، بسبب انخفاض عدد مهاجري الجيل الأول، وهو ما ساهم بقوة في انخفاض الخصوبة. وسيتراجع عدد المواليد المغاربة إلى ٤٠٠٠ مولودٍ عام ٢٠٢٠، ليصل إلى النصف عام ٢٠٤٩. ولنفس الأسباب سينخفض عدد المواليد الأتراك بقوة. على العكس من ذلك سيرتفع عدد المواليد الآسيويين وبدرجة أقل من عدد مواليد دول أميركا اللاتينية في نفس العام[٧٩]. ويظلّ معدّل الخصوبة مرتفعا بشكل واضح وسط المغربيات المهاجرات مقارنة مع النساء الهولنديات الأصليات.

ويتباين المعدّل بين نساء الجيل الأوّل والثاني، فهو منخفض بشكل واضح وسط الثاني لكنه يشهد ارتفاعًا منذ عام ٢٠٠٠، وهذا ينطبق أيضًا –وبشكل واضح– على نساء الجيل الثاني من الجاليات الكبيرة.

78 - UN, *African Statistical Yearbook 2010*, New York, p. 280.
79 - *Joop Garssen en Coen van Duin, Op. Cit.*, pp. 17-18.

وبشكل استثنائي اقترب معدل خصوبة النساء المغربيات من الجيل الثاني من معدل النساء الهولنديات. ويلاحظ أن هنالك تباينًا واضحًا في معدل الخصوبة وسط المجموعات المهاجرة الصغيرة، حيث بلغ معدل النساء الصوماليات من الجيل الأول ٣,٢ طفلًا، بينما بلغ معدل الإيرانيات ١,٢ طفلًا، وهو منخفض بشكل واضح مقارنة حتى مع النساء الهولنديات عام ٢٠٠٩. وهذا يعود جزئيًّا إلى مستوى التعليم العالي للإيرانيات، فالنساء الحاصلات على شهادة التعليم العالي يلدن أطفالًا أقلّ من الحاصلات على الشهادة الثانوية.

ومن بين كل المجموعات المهاجرة إلى هولندا حديثًا، يبرز الأشخاص من أصل إيراني، حيث يتمتعون بمستوًى دراسيٍّ عالٍ[٨٠]. وهذا دليل على أن هجرة الإيرانيين تشمل نسبة عالية من أصحاب الكفاءات. ومن أسباب انخفاض الخصوبة هو ارتفاع متوسّط عمر المرأة المغربية عند ولادة طفلها الأوّل، حيث ارتفع ثلاث سنوات خلال الفترة ١٩٩٠-٢٠٠٩، ليصبح ٢٧,١ سنةً للجيل الأوّل، وهذا المتوسط هو نفسه وسط السوريناميات، وهو أقلّ من عمر الإيرانيات والهولنديات الأصليات والصينيات والعراقيات والأفغانيات، لكنه أعلى من متوسّط التركيّات ومن نساء الأنتيل والأوروبيّات.

لقد أصبحت الأمّهات من الجيل الثاني – من الجاليات غير الغربيّة في هولندا– يتأخّرن في دخول مرحلة الأمومة مقارنة بالجيل الأول، ويتقاربن في هذه الخاصية من الهولنديات الأصليات. ويظهر ذلك جليًّا عند النساء المغربيات، حيث بلغ متوسّط عمر المرأة المغربية من الجيل الثاني عند ولادة طفلها الأوّل ٢٩,٠ سنة، وهو نفس متوسّط العمر للنساء الهولنديات الأصليّات في عام ٢٠٠٧، كما يبدو ذلك من الجدول التالي والشّكل الذي يرافقه[٨١]. وهذا المعدّل هو أعلى مقارنة بالنّساء السوريناميات. ويعدّ هذا الارتفاع أحد المؤشّرات المهمة التي تدلّ على أنّ الجيل الثاني أكثر اندماجًا في المجتمع المضيف مقارنة بالجيل الأوّل، إضافة إلى عواملَ اجتماعيّة واقتصادية وثقافية أخرى.

80 - CBS, *Bevolkingstrends*, 4e Kwartaal, Holland, 2010, p. 31.
81 - CBS, *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008, p. 42.

جدول رقم (١٣) متوسّط عمر الأمّ عند ولادة الطّفل الأوّل حسب مجموعات الأصل والجيل في هولندا

	الجيل الأوّل			الجيل الثّاني		
	١٩٩٠	٢٠٠١	٢٠٠٩	١٩٩٦	٢٠٠١	٢٠٠٩
المغربيات	٢٤,٣	٢٦,٨	٢٧,١	٢٥,١	٢٨,٥	٢٩,٠
التركيات	٢٢,٤	٢٣,٩	٢٦,٧	٢٧,١	٢٧,٧	٢٩,٦
السوريناميات	٢٥,٧	٢٦,٧	٢٧,١	٢٨,٢	٢٨,٧	٢٨,٣
الأنتيليات وأروبا الهولندية	٢٦,٣	٢٦,١	٢٥,٥	٣٠,٢	٢٩،٦	٢٩,٢
العراقيات	٢٦,٩	٢٧,١	٢٨,٠	–	–	–
الأفغانيات	٢١,٧	٢٥,٨	٢٧,٧	–	–	–
الإيرانيات	٢٨,٢	٢٩,٢	٣١,٤	–	–	–
الصينيات	٢٥,٥	٢٦,٠	*٢٩,٩	–	–	–
الهولنديات الأصليات*	٢٧,٩	٢٩,٧	*٢٩,٦	–	–	–
مجموع النساء*	٢٧,٥	٢٩,٢	*٢٩,٣	–	–	–

*إحصائيات سنة ٢٠٠٧

- Sources: Ibid, p. 42 , *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008, Bijlagen, p. 6, Bevolkingstrends, 4e Kwartaal,2010, p. 32.

شكل رقم (٩) متوسّط عمر الأمّ عند ولادة الطّفل الأوّل حسب مجموعات الأصل والجيل في هولندا عام ٢٠٠٩

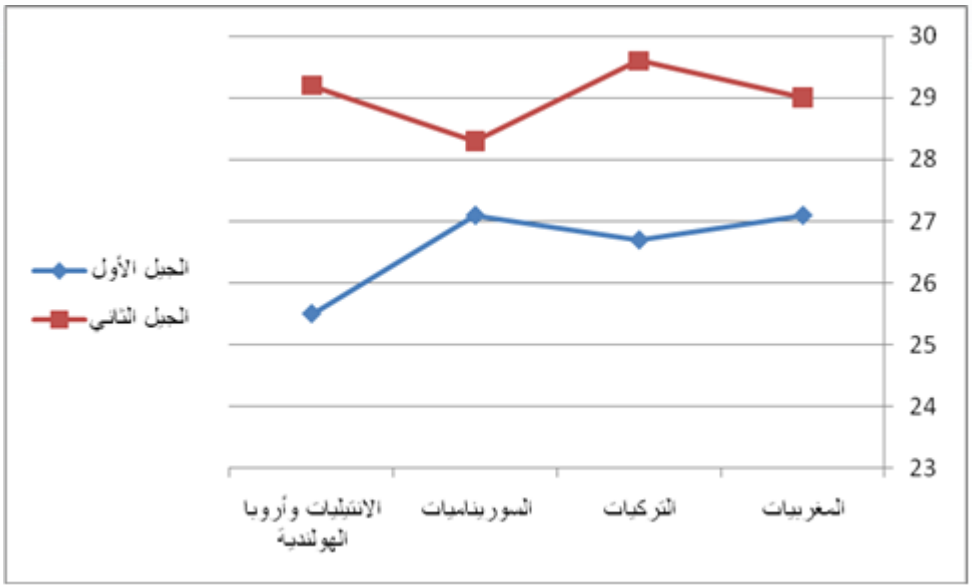

الوفيات

يشير تطوّر معدّل الوفيات لكلّ الأعمار وسط الجالية المغربية إلى انخفاضه كثيرًا، وينسحب هذا على كلّ الجاليات غير الغربيّة في الفترة ٢٠٠٢-٢٠٠٦ مقارنة بالفترة ١٩٩٦-٢٠٠١، فقد انحدر معدّل وفيات الأطفال الرضّع بنسبة ١٥%، وللفئة العمرية ١٥-٢٩ بنسبة ٢٥%.

ومع ذلك، يبقى معدّل الوفيات وسط الجالية المغربية والجاليات غير الغربية متفوّقًا على نظيره للهولنديين الأصليين، وهذا ينطبق أيضًا على معدّل وفيات الأطفال الرضّع بنسبة تتراوح بين الربع والثلث للفترة ٢٠٠٢-٢٠٠٦، حيث يبلغ المعدّل الأخير وسط هذه الفئة من المغاربة ٥,٥ بالألف، بمعنى أنّ كلّ ألف مولود يموت منهم هذا العدد في السّنة الأولى للولادة. ونفس المعدّل نجده وسط الرضّع الأتراك والسوريناميين، لكنه يرتفع إلى ٧,٢ بالألف للأنتيليين، وينخفض إلى ٤,٦ بالألف للرضّع الهولنديّين الأصليين[٨٢].

يعود ارتفاع معدّل وفيات الأطفال الرضّع وسط الجالية المغربيّة والجاليات غير الغربيّة إلى مجموعة من العوامل منها الزّواج المبكّر، وسوء الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة مقارنة مع السكّان الأصليّين، وغياب أحد الوالدين، وارتفاع نسبة الأمراض الجنسيّة المعدية.

82 - CBS, *Jaarrapport integratie*, Holland, 2008, pp. 43-44.

ويرتفع معدّل وفيات الأطفال الأكبر سنًّا أيضًا وسط المغاربة والجاليات غير الغربيّة مقارنة بالأطفال الهولنديّين الأصليّين. واللافت للنّظر أنّ نسبة الوفيات بين الرجال المغاربة من سنّ ٤٠ سنة فأكثر منخفضة نسبيًّا مقارنة بنظرائهم من الجاليات غير الغربيّة، بسبب ندرة أمراض القلب والشّرايين والسّرطان. وفي تقديرنا، يعود سبب هذه الظاهرة إلى اتّباع العادات الغذائية المغربية، وبالأخصّ وسط الجيل الأوّل. ويمكن ربط ذلك مع ما أشارت إليه بحوث طبّية هولندية حديثة بأنّ مرض السّرطان أقلّ انتشارًا وسط الجيل الأوّل من المهاجرين مقارنة بالجيل الثاني الذي وُلد في هولندا، أمّا معدّل الوفيات وسط نساء المغرب والجاليات الأخرى، فإمّا أن يكون مساويًا لمعدّل الهولنديّات الأصليّات أو يكون أقلّ منه[٨٣].

ويبيّن الجدول التالي والشّكل الذي يرافقه، أنّ معدّل احتمال الوفاة لكلّ ١٠٠ ألف نسمة من السكّان، منخفضٌ وسط المغاربة للذّكور والإناث مقارنة مع الجاليات الأخرى مع تفاوت بين هذه الأخيرة، لكن يظلّ معدّل النّساء أقلّ بكثير من معدّل الرّجال.

يمكن تفسير هذا الانخفاض بأنّ معدل المشاركة في سوق العمل وسط نساء الجاليات غير الغربيّة يكون أقلّ من الرجال وهذا يعني احتمال تعرّض الرجال للحوادث المميتة يكون أكثر من النساء. أمّا معدّل الهولنديين الأصليّين فيكون مرتفعا جدّا وبالأخصّ للنساء وهذا يعود إلى شيخوخة السكّان حيث احتمال الوفاة يكون أكبر وسط الأعمار الكبيرة وإلى ارتفاع نسبة النّساء في هذه الفئة العمريّة.

[83] -*Ibid.*, pp. 43-44.

جدول رقم (١٤) معدّل احتمال الوفاة في هولندا حسب المجموعات السكّانيّة لكلّ ١٠٠ ألف من السكّان للفترة ١٩٩٦- ٢٠٠٦

المجموعات السكانية	١٩٩٦- ٢٠٠١		٢٠٠٢- ٢٠٠٦	
	الذّكور	الإناث	الذّكور	الإناث
المغاربة	١٧٨	٩٧	٢١٠	١٠٨
الأتراك	٢٣٧	١١٩	٢٣٨	١٢٤
السوريناميون	٣٧٣	٢٨٨	٣٧٦	٣١١
الأنتيليون وأروبا	٢٥٥	١٨٩	٢٤٤	١٩٨
الهولنديون الأصليون	٩٤٩	٩٤٥	٩١٩	٩٥٥

- المصادر: ترتيب الجدول من قبل الباحث بالاستناد إلى:

CBS, Bevolkingstrends, 4e Kwartaal, 2007, p. 60, Bevolkingstrends, 3e Kwartaal, 2003, p. 13.

شكل رقم (١٠) احتمال الوفاة في هولندا حسب المجموعات السكّانيّة لكلّ ١٠٠ ألف نسمة للفترة ٢٠٠٢- ٢٠٠٦

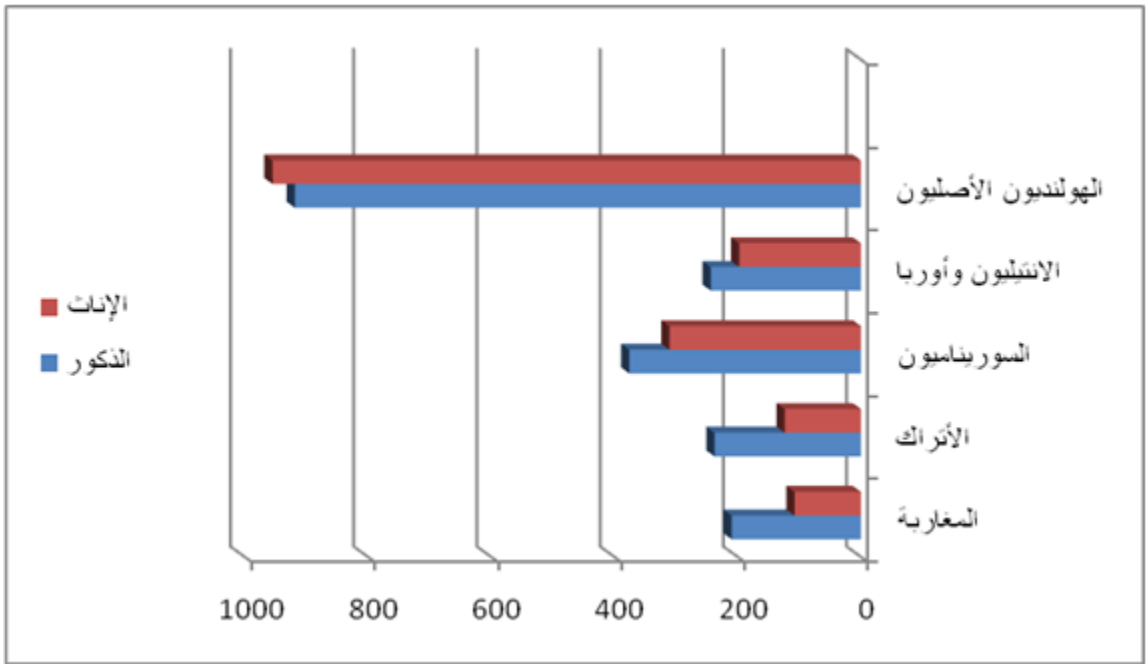

البنية العائليّة

تصل نسبة المغاربة المتزوّجين في هولندا إلى ٤٧%، وهي تقريبًا نفس نسبة الأتراك، بينما تنخفض وسط العراقيّين إلى نحو ٢٢%، وترتفع نسبة العزّاب المغاربة إلى ٤٥,٥%، وهذا راجع إلى أنّ المغاربة والأتراك هم في الأساس عمالة مهاجرة، أمّا العراقيّون فجميعهم تقريبًا قدموا لاجئين في فترة حكم حزب البعث، أمّا نسبة الأطفال الذين يعيشون وحدهم فهي لنفس السبب، متقاربة وسط المغاربة والأتراك ومرتفعةٌ وسط العراقيّين، كما يبيّن الجدول والشّكل التّاليان.

جدول رقم (١٥) البنية العائليّة للمهاجرين حسب بلدان الأصل، فترة الإقامة ٢٠٠٤-٢٠٠٨

الجاليات	عزّاب	زوجان مع أطفال	زوجان دون أطفال	طفل يعيش وحده	أم وحيدة
المغاربة	٢٥,٦	١٥,٥	٣١,٥	١٢,٩	١,٦
العراقيون	٤٥,٥	١٣,١	٨,٧	١٩,٣	٣,٩
الأتراك	٢٧,٥	١٦,٥	٣١,٦	١١,٩	١,٧

- Source: Bevolkingstrends, 4e kwartaal, Holland, 2009, p. 59.

شكل رقم (١١) **البنية العائليّة للمهاجرين حسب بلدان الأصل، فترة الإقامة ٢٠٠٤-٢٠٠٨ بالنّسب المئويّة.**

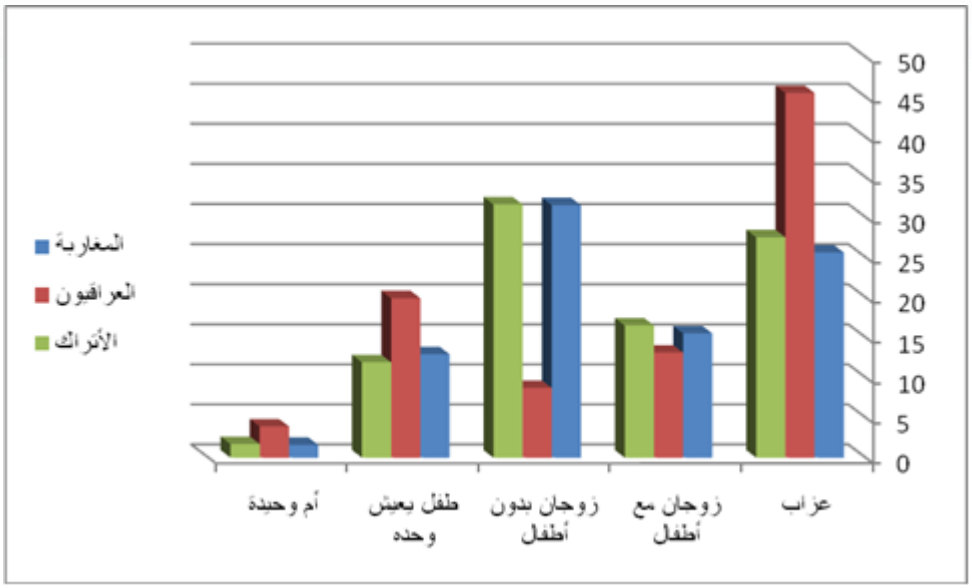

ويتّضح من الجدول التالي قلّة حالات الزّواج المختلط بين المغاربة والسكّان الهولنديّين الأصليّين، حيث تبلغ النسبة العامّة ١٠%، وينطبق هذا على الأتراك أيضًا. وقد بقي العدد السنويّ للزواج المختلط ثابتًا خلال الفترة ٢٠٠١-٢٠٠٦. يتزوّج المغاربة بشكل عامّ رجالًا ونساءً من أصول مغربية، وجزء من هذه الزّيجات هو زيجات هجرة. وتزوّج نحو ربع الرجال المغاربة من خارج هولندا، وبالنّسبة إلى المغربيّات تصل النسبة إلى ١٧%. ومقارنة مع الأتراك من الرجال والنساء؛ تبلغ نسبة الزّواج من خارج هولندا الرّبع.

ومنذ عام ٢٠٠٣ انخفض عدد زيجات الهجرة للمغاربة والأتراك نتيجة القوانين الجديدة التي تتضمن شروطا متشددة تنظّم هذا النوع من الزواج والتي نفّذت عام ٢٠٠٤. وهناك عوامل أخرى لعبت دورا في هذا الاتّجاه مثل سياسة الاندماج، وزيادة نسبة الجيل الثاني والعيش المشترك بين الأزواج دون زواج رسميّ[٨٤]. إنّ انخفاض نسبة الزّواج المختلط وارتفاع نسبة الزّواج من داخل مجموعة الأصل يعود لتباين خلفيّة البنية الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية والحضاريّة والدينيّة بين المهاجرين المغاربة والأتراك والسكّان الهولنديّين الأصليّين.

[84] CB, Jaarrapport integratie, Holland, 2008, pp. 46-47.

جدول رقم (١٦) السكّان غير الأصليّين* في هولندا المتزوّجون حسب أصل الزّوج أو الزّوجة أو شريك الحياة عام ٢٠٠٦

السكان غير الأصليّين		الزّوج أو الزّوجة من السكّان الأصليّين		الزّوج أو الزّوجة من الأصل نفسه		الزّوج أو الزّوجة أجنبيّ من أصل آخر
		× ١٠٠٠	%	دون هجرة	هجرة	
المغاربة	الرّجال	١,٦	١١	٦٠	٢٣	٦
	النّساء	١,٤	٩	٦٦	١٧	٩
الأتراك	الرّجال	١,٥	١٠	٥٤	٢٧	٩
	النّساء	١,٣	٩	٦٠	٢٦	٥
السوريناميون	الرّجال	١,١	٢٥	٤٩	٩	١٧
	النّساء	١,٢	٣٧	٤٥	٥	١٤
الأنتيليون	الرّجال	٠,٥	٤٢	٣٥	١	٢٢
	النّساء	٠,٥	٤٨	٣٢	٣	١٧

* يقصد بالسكان غير الأصليين كل الأشخاص الذين ولدوا خارج هولندا أو ولدوا من أبوين أو من أب أو أم ولدوا خارج هولندا حسب مكتب الإحصاء المركزي الهولندي.

- Source: CBS, *Jaarrapport integratie*, Holland, 2008, Bijlagen, p. 8.

البنية التّعليميّة

بما أنّ المهاجرين المغاربة من الجيل الأوّل هم من الأيدي العاملة غير الماهرة، فإنّ هذا يعني أنّ نسبة كبيرة منهم من الأمّيين، وهذه الحالة تعكس البنية الاجتماعية–الاقتصادية المتخلّفة في منطقة الأصل وما تتركه من تأثير في مستوى التعليم، لتمتدّ تأثيراتها المباشرة إلى حياة الجيل الأوّل وبشكل غير مباشر إلى الجيل الثاني والثّالث.

تعكس الجالية المغربية في هولندا على الأقلّ جزءًا من الأوضاع السوسيولغوية في المغرب، وتقدّر نسبة الذين يقطنون في هولندا ويتكلمون نوعا من لهجة الرّيف المغربي نحو الـ٧٠%، وتشمل النسبة الباقية البربر المنحدرين من جبال الأطلس المتوسط والعالي الذين يتكلمون "تمازيغت" و"تشلحيت".

أمّا المغاربة المنحدرون من المدن والسهول فإنهم يتكلّمون العربية الدارجة، ويستخدم المغاربة اللغة الهولندية كلغة عمل ودراسة إلى جانب استخدام بعض اللهجات الهولندية على المستوى الإقليمي أو المحلي. لقد عكس في البداية استخدام اللغة من قبل مهاجري الجيل الأول الأنماط السوسيولغوية في بلد الأصل، فالكثير منهم ممّن ينحدرون من منطقة الريف استمرّ في استخدام الريفية لهجة، والعربية الدارجة لغة اتّصال مع الآخرين، أمّا اللغة العربية فهي متقنة نسبيًّا من قبل أقلّية من المغاربة أتوا إلى هولندا بعد إكمال تعليمهم العالي في المغرب[٨٥].

ينخفض مستوى التحصيل الدراسي وسط المغاربة والأتراك مقارنة مع السوريناميين والأنتيليين، بينما يرتفع التحصيل الدراسي لدى الجيل الثاني في عمر ٢٥-٣٤، مقارنة مع نفس الفئة العمرية من الجيل الأول. وعمومًا يكون المستوى منخفضًا وسط السكان غير الأصليين القادمين من الدول غير الغربية مقارنة مع الهولنديين الأصليين، فكل ستة من أصل عشرة من المجموعة الأولى ذوو مستوى متدنٍّ، بينما يقلّ العدد عند المجموعة الثانية ليصل إلى أربعة من كلّ عشرة[٨٦].

ويتابع معظم التلاميذ ذوي الأصول المغربية الدراسة ذات المستوى المنخفض، وهذا ينطبق أيضًا على التلاميذ من الأصول التركية، أما التلاميذ من الأصول السورينامية ومن جزر الأنتيل وأروبا الهولندية، فإنهم يتوجهون أكثر إلى التعليم الثانوي العام (مدرسة إعدادية تكميلية لمدة خمس سنوات) havo، وإلى التعليم الثانوي (التعليم الإعدادي العلمي) vwo، وفي بشكلٍ أقل إلى (التكوين المهني المتوسط) vmbo[٨٧]. إن

---

٨٥ - هاشم نعمة فياض، "تعليم اللغة العربية في هولندا"، مصدر سبق ذكره.

86 - CBS, *Allochtonen in Nedeland*, Holland, 2004, p. 47.

تتكون المدرسة الابتدائية الهولندية (التعليم الأساسي) من ثماني سنوات وتبدأ بعد إكمال سن رياض الأطفال الذي يستمر إلى سن الرابعة. ويسمح القانون الهولندي منذ عام ١٩٧٤ لأطفال الأقليات العرقية بتعلم اللغة الأم في المدرسة الابتدائية بواقع ٢,٥ ساعة في الأسبوع في كل مراحلها. كان الهدف في بداية برنامج تعليم اللغة العربية تهيئة التلاميذ المغاربة للعودة إلى الوطن لمساعدتهم في الاندماج في المدارس المغربية لكن بعد أن تغيرت إقامة المهاجرين من مؤقتة إلى دائمة تغير الهدف وأصبح مساعدة التلاميذ المغاربة على التخاطب مع آبائهم وأقاربهم وتطوير الشعور بهويتهم الوطنية في البلد المضيف والمساهمة في تحسين المستوى الدراسي.

87 - CBS, *Allochtonen in Nedeland*, *Op. Cit.*, p. 36.

اشتراك التلاميذ المغاربة والأتراك في هذا المستوى يعود في تقديرنا إلى أن المهاجرين الأتراك مثل المغاربة، ينحدرون من مناطقَ ريفية ذات بنية اجتماعية–اقتصادية غير متطورة في تركيا[٨٨].

في السنة الدراسية ٢٠٠٢–٢٠٠٣، لقد تابع ستة من كل عشرة طلبة من المغاربة والأتراك الذكور الدراسة الاقتصادية في التعليم المهني العالي hbo، ويماثلهم في ذلك الطلاب من أصول غير غربية، في حين ينخرط ٣٥% من أبناء السكان الأصليين في هذا التعليم. ممّا يعني أنّ هذا النوع أكثر شعبية عند الطلاب غير الغربيّين مقارنة بالسكّان الأصليين.

وتلتحق النسبة الباقية من الطلبة غير الغربيين بالدراسات ذات الاتجاه الاقتصادي ضمن التعليم المهني العالي HBO، هذا إن كانوا قادمين من التعليم الثانوي العامHAVO، بينما يميل الطلاب الحاملون لشهادة التعليم الثانوي (التعليم الإعدادي العلمي) VWO إلى الالتحاق بفروع الصحة واللغات والثقافة.

أما بالنسبة إلى التعليم الجامعي (WO)، فيتّجه الطلاب المغاربة إلى دراسة الاقتصاد والحقوق بنسبة تزيد عن الطّلاب من السكّان الأصليّين ذكورًا وإناثًا، وتتّجه الطالبات المغربيّات خصوصًا إلى دراسة الحقوق، كما تفعل مثيلاتهن من غير الغربيات. ويتابع نحو ربع الطّلاب المغاربة والأتراك وكذلك الطّلاب غير الغربيّين المسجلين في السنة الدراسية ٢٠٠٢–٢٠٠٣ دراسة الحقوق. ونلاحظ أنّ اتجاه غير الغربيين إلى دراسة تخصّصات السلوك والمجتمع واللغة والثقافة والتقنية، منخفضٌ مقارنة بالطلاب الهولنديين الأصليين[٨٩].

لقد كانت نسبة التحاق الطلبة المغاربة والأتراك بالتعليم العالي في السنة الدراسية ٢٠٠٩–٢٠١٠ هي ٤٣%، وهي نسبة أقل بكثير مقارنة مع الهولنديين الأصليين والمجموعات غير الغربية الأخرى كما يبين الجدول والرسم التاليان، ويبقى الجيل الأول متخلفًا جدًّا في السنة الدراسية نفسها، حيث يشكّل نسبة الثلث. علمًا أنّ توزيع التحاق المغاربة والأتراك قد عرف نموًّا حادًّا منذ ٢٠٠٣–٢٠٠٤ خصوصا وسط النساء. وبقي

٨٨ - بما أن الكثير من السكان غير الأصليين يقطن في المدن الأربع الرئيسة أمستردام وروتردام ولاهاي (دنهاخ) وأوترخت. لذا يكثر ما يسمى بالمدارس (الملونة) أي التي يكون طلابها خليطا من السكان الأصليين وغير الأصليين. لذلك يكون أكثر من ٥٠% من الطلاب في نصف مدارس التعليم الأساسي (الابتدائية) من السكان غير الأصليين. بينما النسبة في باقي هولندا ٤%. وفي روتردام عموما نحو ٦٠% من المدارس الابتدائية أكثر من نصف طلابها أصولهم تنحدر من الدول غير الغربية وفي ٤٠% من المدارس ترتفع النسبة إلى ٨٠%. وفي لاهاي أقل من نصف طلاب المدارس الابتدائية من أصول غير غربية. إن وجود هذه المدارس يعكس الاستقطاب القوي الذي مارسته هذه المدن الكبيرة للمهاجرين كونها أكثر نشاطا من الناحية الاقتصادية مقارنة مع بقية المدن. ومن جانب آخر فقد اكتسب وجود المدارس "البيضاء" التي غالبية طلابها من السكان الأصليين إلى جانب "الملونة" اهتماما أكبر في السنوات الأخيرة. حيث يلاحظ أن الإجراءات والتدابير المتخذة ضد العزل وتشجيع الاندماج كان لها تأثير ضعيف حتى الآن. حيث يبقى العزل أقوى في مدارس المدن الأربع الكبرى، (*Ibid.*, pp. 36- 42).

89 - CBS, *Allochtonen in Nedeland*, *Op. Cit.*, pp. 40-42.

توجّه المجموعتين من الرجال متخلّفًا بقوّة أيضا في السنة الدراسية ٢٠٠٩-٢٠١٠ مقارنة مع المجموعات الأخرى.

جدول رقم (١٧) النّسبة المئويّة لالتحاق الطّلبة* بالتّعليم العالي حسب الأصل والجنس للسّنتين الدّراسيّتين ٢٠٠٣-٢٠٠٤ و٢٠٠٩- ٢٠١٠

المجموعات	المجموع		الرّجال		النّساء	
	٢٠٠٣- ٠٤	٢٠٠٩-١٠	٢٠٠٣-٠٤	٢٠٠٩-١٠	٢٠٠٣-٠٤	٢٠٠٩-١٠
المغاربة	٣٢	٤٣	٣٤	٣٨	٣١	٤٩
الأتراك	٢٧	٤٣	٢٦	٣٨	٢٨	٤٨
السوريناميون	٤٧	٥٨	٤٠	٥٠	٥٣	٦٥
الأنتيليون وأروبا الهولندية	٥٨	٦٩	٥٢	٥٩	٦٥	٨٠
الهولنديّون الأصليّون	٥٢	٥٨	٤٩	٥٥	٥٦	٦١

* يقصد بالتعليم العالي ما بعد الشهادة الثانوية ويحدد متوسط نسبة التدفق إلى التعليم العالي من خلال عدد الطلاب في السنة الأولى لكل عمر مقسوما على عدد السكان في هذا العمر.

- Source: CBS, *Jaarrapprt intgrtie*, Holland, 2010, p. 77.

شكل (١٢) النّسبة المئويّة لمتوسّط التوجّه إلى التّعليم العالي حسب الأصل والجنس للسّنة الدّراسيّة ٢٠٠٩- ٢٠١٠

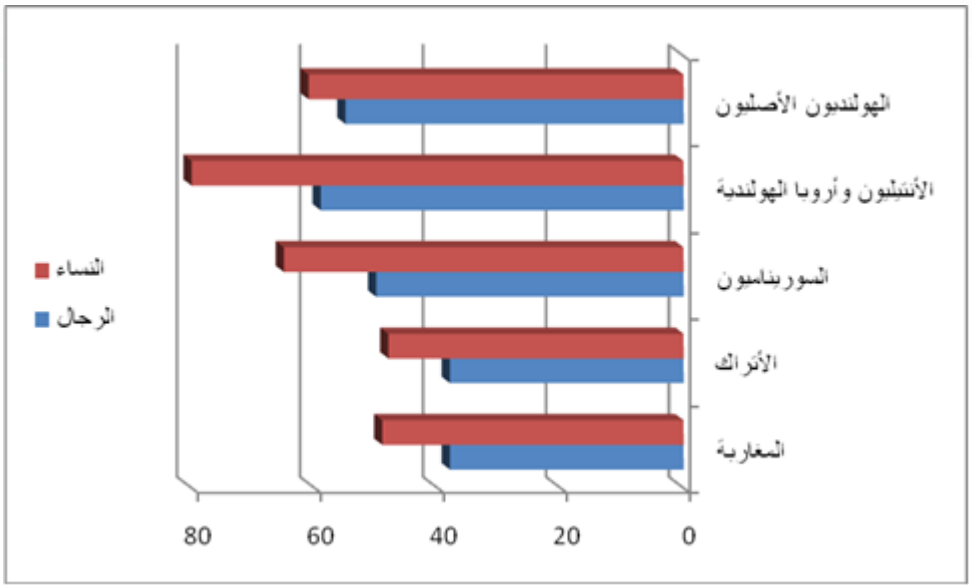

ومقارنة مع بلجيكا، يشكّل أبناء الجالية المغربية؛ وخاصّة الجيل الأوّل منهم؛ نسبة كبيرة من التّلاميذ الذين أخفقوا في مسيرتهم الدراسية. ففي عام ١٩٩٥ أشارت نتائج دراسة عيّنة إلى أنّ ٤٨% فقط من التلاميذ المغاربة لم يرسبوا طيلة سنوات التعليم الابتدائيّ (الأساسي)، بينما بلغت نسبة النّاجحين المنحدرين من الكونغو الدّيمقراطية ٦٠,٢% والأتراك ٥٩,٦%، ويتصدّر النّسب التلاميذ البلجيكيون حيث بلغت نسبة النّاجحين منهم ٦٢,٢%.

ويجمع الطلاب المغاربة أعلى عدد سنوات الرّسوب، فقد رسب منهم ٣٧% لمرّة واحدة مقابل ٢٨,٨% للأتراك و٢٧% للبلجيكيّين. ويمثّل التلاميذ المغاربة والأتراك ٨٠% من مجموع التلاميذ الذين لم يحصلوا على شهادة التعليم الابتدائيّ (الأساسي)، وهو رقم بالغ الدلالة[٩٠]. وهذا يمكن تفسيره بالبنية الاجتماعيّة والاقتصاديّة المتخلّفة لمناطق الأصل وانخفاض المستوى التعليميّ للوالدين.

وتشير دراسة إلى أنّ نسبة الرّسوب وسط المغاربة هي الأعلى، خصوصًا في المرحلة الثانويّة وينسحب هذا الإحصاء على الأجانب أيضًا، مقارنة بالبلجيكيّين الأصليّين والأوروبيّين المقيمين أو الدّارسين في بلجيكا. وعند مقارنة طلاب حصلوا على النّتائج المدرسيّة نفسها، يتّضح أنّ التلاميذ الأجانب تتمّ إحالتهم إلى القسم التوجيهيّ أكثر من البلجيكيّين. فإذا أخذنا عدد الذين تمّ توجيههم إلى التعليم المهنيّ انطلاقا من السنة

[٩٠] - عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج...**، مصدر سبق ذكره، ص٢١-٢٢.

الدراسية B1، فإنّ ٦٨% منهم مغاربة وأتراك و٤٥% من الأوروبيّين والبلجيكيين، مع العلم أنّ الحديث يدور حول نفس المستوى الدراسيّ بالنسبة إلى الجميع. بل هناك ١٥% من التلاميذ المغاربة لم يرسبوا بتاتا، ومع ذلك تمّت إحالتهم قسرا إلى القسم التوجيهيّ وبعدها إلى التعليم المهنيّ، وعادةً ما يتمّ هذا التّوجيه القسريّ دون مشاكل إذ تستغلّ أمّية الأبوين وعدم إلمامهما بنظام التعليم البلجيكيّ[٩١]. وهذا يعكس جزءًا من الممارسات العنصريّة تجاه الأجانب.

أمّا في إسبانيا، فإنَّ غالبيّة المهاجرين المغاربة ذات مستوى تعليميٍّ منخفض، فقد صُنّف ٥٧,٦% من الرّجال أمّيين أو دون تعليم أو ذوي مستوى تعليميّ ابتدائيّ، وترتفع هذه النّسبة إلى ٦٥,٨% بين النّساء كما يبيّن الجدول التالي، وفي إيطاليا تشكّل النّساء ٣٩,٦% من مجموع المغاربة، وتبلغ نسبة اللاتي لم يدخلن المدرسة أو يتمتّعن بتعليم ثانويّ منخفض٧٦,٣% وتعليم ثانويّ عالٍ ٢٠,٣% وتعليم عال ٣,٤%[٩٢].

انخفاض مستوى التعليم حالة عامّة يشترك فيها معظم المهاجرين المغاربة إلى الدول الأوروبيّة، وهي تنطبق أكثر على الجيل الأوّل، وبالأخصّ في بدايات الهجرة الكثيفة في الستّينيات من القرن الماضي. ويشارك المهاجرينَ المغاربة في هذه الحالة مهاجرو البلدان التي تشترك بقوّة في هجرة العمالة مثل تونس والجزائر، بينما العكس بالنسبة إلى الدّول التي لا تشترك بقوّة في الهجرة مثل دول الخليج العربيّ حيث أغلب مهاجريها يتمتّعون بتعليم عالٍ رغم قلّة عددهم.

جدول رقم (١٨) مستوى تعليم المهاجرين المغاربة الذين وصلوا إلى إسبانيا حديثًا حسب مسح للفترة ٢٠٠٢-٢٠٠٧

	مستوى التّعليم					
	أمّي	ابتدائيّ أو دون تعليم	ثانويّ منخفض	ثانويّ عال	مهنيّ	تعليم عال
الرّجال	٧,٢	٥٠,٤	١٧,٢	١٨,٠	٣,٠	٤,١
النّساء	١٧,٧	٤٨,١	١٥,٠	١٣,٧	٢,٥	٣,١

- Source: Bernard F. et al., "The recent Fast Upsurge of Immigrants in Spain and Occupational Attainment", *International Migration*, vol. 49 (1) 2011. p. 157.

[٩١] - المصدر السابق، ٢٢-٢٣.

[92] - Fullin G. and Reyneri E. , "Lower Unemployment and Bad Jobs for New Immigrants in Italy", *International Migration*, vol. 49 (1) 2011. p. 120.

البنية المهنيّة

يتفوّق أفراد الجالية المغربية من ناحية الخبرة المهنية مقارنة بالمهاجرين القادمين من الدول العربية الأخرى، وذلك نتيجة لتاريخ هجرتهم الطويل. ويحصل الكثير منهم، وخاصّة ذوي التعليم الهولندي على فرص عمل في مختلف القطاعات الاقتصادية، وخاصّة الحكومية منها، كما يعمل الكثير منهم في قطاعي الخدمات والصّناعة.

ومع ذلك تشير الدراسات إلى أنّ المغاربة، مقارنة بالجاليات غير الغربيّة وبالهولنديين الأصليّين، أسرع من غيرهم في تركهم العمل، وأقلّ مشاركة في سوق العمل. وقد بلغ هذا أوجه عام ٢٠٠٣ قياسًا بالأعوام التي سبقته، حين وصلت نسبتهم في سوق العمل إلى ٥٦% للرجال، و٢٤% للنساء، فتفوّقت عليهم الجالية التركية. في حين بلغت نسبة الهولنديّين الأصليّين المشاركين ٧٨% للرجال و٥٧% للنّساء. جاء بعدهم السوريناميون نسبة أقلّ بقليل وللجنسين أيضًا[٩٣].

هكذا يكون صافي المشاركة في سوق العمل وسط المغاربة هو الأقلّ مقارنة بالجاليات الكبيرة، والهولنديين الأصليين، فقد بلغت نسبتهم هناك ٤١,٤ % عام ٢٠٠٣، ثم ارتفعت إلى ٥٠% عام ٢٠٠٩، كما يبين الجدول والشكل التاليان. ومقارنة مع المغاربة في إيطاليا يبلغ معدل النشاط الاقتصادي للمغاربة الذكور ٨٧,٨% وللإناث ٣٤,٩%[٩٤].

إنّ انخفاض نسبة مشاركة المغاربة في سوق العمل هو حالة تشترك فيها الجاليات الأخرى من الدّول غير الغربية. وفي تقديرنا تقف من وراء ذلك جملة من العوامل منها ضعف البنية الاجتماعيّة–الاقتصاديّة والثقافية والتعليميّة للدول التي ينحدر منها هؤلاء وهي في الغالب دول نامية إضافةً إلى التمييز ضدّ هذه الجاليات نتيجة التباين الثقافيّ والحضاريّ والدينيّ.

[٩٣] - حميد الهاشمي، **العرب وهولندا الأحوال الاجتماعية للمهاجرين العرب في هولندا**، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ، ٢٠٠٨)، ص ١٠٤-١٠٥.

[٩٤] - Fullin G. and Reyneri E., "Lower Unemployment and Bad Jobs for New Immigrants in Italy", *Op. Cit.*, p. 124.

جدول رقم (١٩) صافي المشاركة في سوق العمل حسب بلد الأصل لعامي ٢٠٠٣ – ٢٠٠٩ في هولندا (النّسبة المئويّة)

المجموعات	٢٠٠٣	٢٠٠٩
المغاربة	٤١,٤	٥٠
الأتراك	٤٥,٨	٥٤
السوريناميون	٦١,٢	٦٣
الأنتيليون ومن أروبا الهولندية	٥٣,٦	٥٨
الهولنديون الأصليون	٦٧,٣	٧٠
السكّان غير الأصليّين من الدول الغربيّة	٦٣,٢	٦٦
السكّان غير الأصليّين من الدول غير الغربيّة	٤٨,٦	٥٥

- Sources: *Allochtonen in Nedeland*, Holland 2004, p. 53. *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2010, p 94.

شكل رقم (١٣) النّسبة المئوية لصافي المشاركة في سوق العمل حسب بلد الأصل لعامي ٢٠٠٣–٢٠٠٩ في هولندا[٩٥].

[٩٥] - الشكل البياني من رسم الباحث استنادا للجدول (١٨).

وفي هذا السّياق يظهر الجدول التالي ارتفاع نسبة المغاربة الذين يعتمدون على الإعانة الاجتماعيّة، حيث بلغت نسبة ١٦% للرّجال و١٨,٧% للنّساء للفترة ٢٠٠١-٢٠٠٥.

جدول رقم (٢٠) وضعيّة سوق العمل للعاملين المغاربة للفترة ٢٠٠١ -٢٠٠٥، (عمر ١٥-٦٠ سنة) حسب الجنس في هولندا

	عاملون	عمل مستقلّ	يعتمد على الإعانة الاجتماعيّة	تقاعد	طلاب مدرسة	آخرون	مهاجر أو متوفّى
الرّجال	٧٠,٠	١,٩	١٦,٠	١,٤	١,٥	٥,٨	٣,٥
النّساء	٦٦,٠	٠,٦	١٨,٧	٠,٠	٣,٠	٩,٨	١,٨
الجيل الأوّل	٦٩,٥	١,٤	١٧,٧	١,١	٠,٩	٦,٧	٢,٧
الجيل الثّاني	٦٤,٩	١,٨	١٢,٧	٠,٠	٧,٤	٩,٢	٤,١

- Source: CBS, *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008, Bijlagen, pp. 16-17.

ويوضّح لنا الجدول والشكل التاليان، ارتفاع معدّل البطالة وسط المغاربة في الفترة ٢٠٠١-٢٠٠٩، ليتراوح بين ٨,٩% و ١٢,٣%، ومع أنه كما نلاحظ شهد ارتفاعًا وانخفاضًا، إلا أنّه ظلّ أعلى مقارنة بالجاليات الأخرى وبالهولنديّين الأصليّين وبالمعدّل العامّ. يُذكر أنه في إيطاليا بلغ معدّل البطالة وسط المغاربة ١٣,٦%، وهو مرتفع مقارنة بالمهاجرين المقيمين هناك، عدا مهاجري بلدان شمال أفريقيا الآخرين الذي معدّلهم ١٥,٥%[٩٦]، أمّا في إسبانيا فقد بلغ معدّل بطالة المغاربة ١٠,٦% للرجال، و١٣,٣% للنّساء، [٩٧] وهو أعلى من معدّلات أغلب العمالة المهاجرة في البلدان الأخرى.

[96] - Fullin G. and Reyneri E. "Lower Unemployment and Bad Jobs for New Immigrants in Italy", *Op. Cit.*, p. 124.
[97] - Bernard F. et al., "The recent Fast Upsurge of Immigrants in Spain and Occupational Attainment", *International Migration*, vol. 49 (1) 2011. p. 159.

جدول رقم (٢١) النّسبة المئويّة لمعدّل البطالة في الفئة العمريّة ١٥-٦٥ سنة حسب الجاليات المقيمة في هولندا للفترة ٢٠٠١-٢٠٠٩

الجاليات	٢٠٠١	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩
المغاربة	٨,٩	١٠,١	١٧,٩	١٩,٣	١٨,٨	١٦,١	١١,١	١٠,٢	١٢,٣
الأتراك	٧,٧	٩,٥	١٣,١	١٥,٤	١٤,٨	١٤,٤	٩,١	٨,١	١٠,٢
السوريناميون	٦,٩	٧,١	٩,٧	١٢,٢	١٣,٧	١٠,٧	٨,٠	٦,٤	١٠,١
الأنتيليون وأروبا الهولندية	٩,١	١٠,٣	١٤,١	١٥,٧	١٥,٧	١٤,٧	١٠,٠	٩,٧	١١,١
الهولنديون الأصليون	٢,٩	٣,٤	٤,٤	٥,٣	٥,٢	٤,٤	٣,٧	٣,٢	٤,٠
المعدّل العام	٣,٥	٤,١	٥,٤	٦,٥	٦,٥	٥,٥	٤,٥	٣,٩	٤,٩

- Source: CBS, *Persbericht*, 4 Februari 2010, p. 6.

شكل رقم (١٤) النّسبة المئويّة لمعدّل البطالة في الفئة العمريّة ١٥-٦٥ سنة حسب الجاليات المقيمة في هولندا للفترة ٢٠٠١-٢٠٠٩

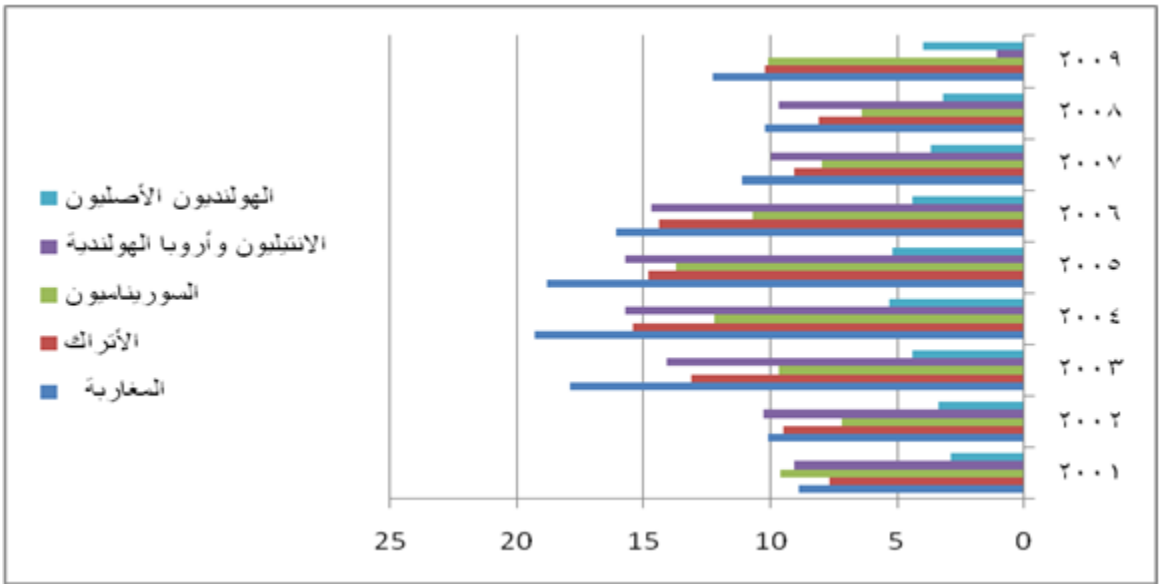

ويبيّن الجدول التالي نسبة المغاربة من الفئة العمريّة (١٥-٦٤) للفترة ١٩٩٩-٢٠٠٧ المتمتّعين بمساعدة البطالة، حيث يلاحظ أنّ المعدّل العامّ عالٍ، لكنها أقلّ من نسبة الأتراك وأكثر قليلًا من نسبة السوريناميين.

جدول رقم (٢٢) نسبة الأشخاص في عمر الـ١٥- والـ٦٤، المتمتّعين بمساعدة البطالة حسب الجنس في هولندا، حتّى آخر جمعة من شهر أيلول/سبتمبر للفترة ١٩٩٩-٢٠٠٧

	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧
المجموع	١,٦	١,٣	١,٢	١,٤	١,٩	٢,٣	٢,٣	٢,٠	١,٥
المغاربة	١,٩	١,٦	١,٥	١,٩	٢,٩	٣,٥	٣,٠	٢,٥	١,٩
الأتراك	٢,٧	٢,٣	٢,٢	٢,٧	٣,٧	٤,١	٣,٧	٣,٠	٢,٢
السوريناميون	١,٨	١,٥	١,٣	١,٨	٢,٨	٣,٥	٣,٣	٢,٦	١,٩
الرّجال									
المجموع	١,٨	١,٥	١,٣	١,٦	٢,٢	٢,٦	٢,٥	٢,١	١,٦
المغاربة	٢,٦	٢,٢	٢,١	٢,٥	٣,٩	٤,٦	٤,٠	٣,٢	٢,٤
الأتراك	٣,٠	٢,٥	٢,٢	٢,٧	٣,٩	٤,٤	٤,٠	٣,٢	٢,٢
السوريناميون	١,٨	١,٤	١,٣	١,٨	٢,٩	٣,٦	٣,٣	٢,٦	١,٨
النّساء									
المجموع	١,٥	١,٢	١,٠	١,٢	١,٦	٢,٠	٢,١	١,٨	١,٥
المغاربة	١,٠	٠,٩	٠,٩	١,٢	١,٨	٢,٣	٢,٠	١,٦	١,٤
الأتراك	٢,٥	٢,٢	٢,٢	٢,٦	٣,٤	٣,٧	٣,٣	٢,٨	٢,٣
السوريناميون	١,٩	١,٥	١,٤	١,٧	٢,٧	٣,٥	٣,٢	٢,٦	١,٩

- Source: *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008, Bijlagen, p. 23.

ويبرز الجدول التالي تباين هذه النسبة بين الجيل الأوّل والثاني، حيث تراوحت بين ١,٨% و٤% للأوّل، وبين ٠,٤% و١,٧% للثّاني، وهذا راجع إلى أنّ فرص الحصول على العمل بالنسبة إلى الجيل الثّاني أكثر من الجيل الأوّل، نتيجة التمتّع بالتعليم الهولنديّ وصغر السّنّ. إنّ ارتفاع معدّل البطالة مقارنة بالسكّان الأصليّين تفسّره العوامل التي أشرنا إليها فيما يخصّ انخفاض نسبة المشاركة في سوق العمل.

جدول رقم (٢٣) نسبة المغاربة في عمر ١٥-٦٤ سنة المتمتّعين بمساعدة البطالة حسب الجيل في هولندا، للفترة ١٩٩٩-٢٠٠٧

	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧
الجيل الأوّل	٢,٢	١,٩	١,٨	٢,٢	٣,٤	٤,٠	٣,٧	٣,٠	٢,٥
الجيل الثّاني	٠,٥	٠,٤	٠,٤	٠,٧	١,٥	١,٧	١,٢	٠,٩	٠,٦

- Source: CBS, *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008, Bijlagen, p. 24.

وتشير الدراسات إلى أنّ الأفغان والصوماليّين والأثيوبيّين إضافة إلى العراقيّين، هم جاليات قادمة بدواعي طلب اللّجوء، وهي أسرع من غيرها من المهاجرين في طلب المساعدة الاجتماعية كبديل عن البطالة وفقدان العمل، يليهم في ذلك من الجاليات الكبيرة كل من المغاربة ثم الأتراك. وكذلك يلجأ المهاجرون من مصر وإيران والصين بصورة مبكرة إلى طلب المساعدة الاجتماعية بعد فقدان العمل[٩٨].

لقد بلغ الدّخل السنويّ للمغاربة المتزوّجين عام ٢٠٠١، والذين لديهم أطفال، أقلّ من ٢٦ ألف يورو، أي أقلّ من ٣٠% من نظرائهم الهولنديّين الأصليّين، ويرتفع دخل الأتراك قليلًا مقارنةً بالمغاربة، وتتراجع النّسبة المذكورة إلى ٢٠-٢٥% بالنسبة إلى الجيل الشابّ من المغاربة والأتراك المتزوّجين ولديهم أطفال. أمّا الدّخل السنويّ للسوريناميّين في نفس الوضعيّة فقد بلغ ٣٤ ألف يورو أي أقلّ بنسبة ١١% من الهولنديين الأصليين[٩٩].

[٩٨] - حميد الهاشمي، **العرب وهولندا الأحوال الاجتماعية للمهاجرين العرب في هولندا**، مصدر سبق ذكره، ص١٠٧.

[99] - CBS, *Allochtonen in Nedeland*, *Op. Cit.*, p. 63.

إنّ انخفاض الدّخل يعود إلى ضعف البنية المهنية والتعليمية، وخاصّة للجيل الأوّل من المغاربة، أمّا ارتفاعه في حالة السوريناميين فيعود إلى أنّ سورينام كانت جزءًا من هولندا، ولذا فإنّ هجرة سكّانها إلى هذا البلد كانت أقدم، وخبرتهم في سوق العمل أكبر.

الاندماج في المجتمع الهولنديّ

ليس معنى الاندماج هنا الانصهار في المجتمعات المضيفة، لأنه من حقّ كلّ إنسان أن يحتفظ بهويّته الثقافية أو الدينية، ولكن المقصود درجة التّواصل مع المجتمع المضيف، واكتساب مهارات تؤهّل المهاجرين للانخراط في الحياة العامّة بشكل إيجابيّ، على أن يسود مبدأ تكافؤ الفرص بشكل عادل.

ويشمل الاندماج النواحي الاجتماعية والاقتصادية (وخصوصًا مدى المساهمة في سوق العمل) والسياسية والثقافية والتعليم ودرجة اكتساب لغة البلد المضيف، لأنه من دون ذلك يعاق بشكل جدّي الاندماج في المجتمع في الكثير من جوانب الحياة. وبالتأكيد فإنَّ الاندماج عملية تراكمية تستغرق وقتًا طويلًا، ولها في نفس الوقت عوائق تحدّ من وتيرة سرعتها.

إنّ وجود الأجانب بهذا الشكل في هولندا وفي دول أوروبية أخرى، وبالتحديد من ذوي الأصول الإسلامية والعربية، كان على خلاف ما خطّطت له الحكومة التي لم تكن تريد منهم الاستقرار إلى الأبد، وإنما لخدمة البلاد التي كانت منهكة من الحرب العالمية الثانية، وليعودوا بعدها إلى أوطانهم الأصلية.

وقد فكّر المهاجرون بالطريقة نفسها، فقد كان مقصدهم جمع سيولةٍ كافية قصد استثمارها في بلدانهم، ولكنَّ الأمور اتّخذت مجرًى مغايرًا، فهؤلاء استأنسوا الإقامة في البلاد، التي وفّرت لهم أسباب العيش المقبول، وهو الأمر الذي حكم على العمالة الأجنبيّة بالاستقرار التامّ في هولندا وغيرها من البلدان الأوروبية، بل والعمل على استدعاء أسرهم وأقربائهم، الأمر الذي كان له آثارٌ اجتماعية واقتصادية وثقافية، ثم أخذ منحًى قانونيًّا حين علت أصوات المطالبة بتسوية الوضعية القانونية، ليس فقط للمهاجرين الذين جاءوا فرادى، وإنما كذلك لأسرهم وأبنائهم، ممّا وضع السلطات الهولندية أمام تحدّيات جديدة، ستفرز في المستقبل القريب العديد من الإشكالات[١٠٠]، وهذا الوضع ينطبق بشكلٍ متفاوتٍ على كلّ الدول الأوروبية المستقبلة للعمالة المهاجرة.

١٠٠ - التجاني بولعوالي، **المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل**، ط ١، (القاهرة، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦)، ص ٥٤-٥٥.

بشكلٍ عامّ، يندمج المغاربة أكثر مع بعضهم، وينسحب هذا أيضًا على الأتراك، وخصوصًا الجيل الأوّل من المهاجرين، أمّا الجيل الثاني من المهاجرين فيكون اندماجهم أقلّ مع مجموعاتهم الأصلية وهذا ينطبق على المغاربة وينطبق أكثر على المنحدرين من جزر الأنتيل خصوصا الأطفال الذين يأتون للدراسة في هولندا[١٠١].

من الطّبيعيّ أن يكون الجيل الثاني الذي ولد في هولندا أكثر قابليّة للاندماج في المجتمع المضيف. ويعود هذا لعدّة أسباب منها: التمكّن من اللغة الهولنديّة، وارتفاع المستوى التعليميّ والثقافيّ، وانخراطهم السّهل في سوق العمل أكثر من آبائهم.

ومقارنة مع بلجيكا، يعتقد ٥٥% من المغاربة الحاملين للجنسية البلجيكية، أنهم ينتمون بالدرجة الأولى إلى المغرب وبعد ذلك إلى أوروبا، ويعتقد ١٩% منهم أنّهم ينتمون إلى المغرب فقط حسب دراسة عيّنة أُجريت عام ٢٠٠٩[١٠٢].

أمّا في ما يخصّ الاهتمام بالسّياسة؛ وهو أحد جوانب الاندماج، فلا تزال نسبته منخفضة وسط المغاربة مقارنة بالهولنديّين الأصليّين، وينطبق هذا أيضًا على الجاليات غير الأوروبيّة في هولندا. ولكن نسبة المغاربة الذين لا يهتمّون بالسّياسة هي أقلّ من نسبة الأتراك ومهاجري الأنتيل وجزيرة أروبا كما يبيّن الجدول والشّكل التّاليان.

جدول رقم (٢٤) النّسبة المئويّة للاهتمام بالسّياسة وسط الجاليات المهاجرة في هولندا عام ٢٠٠٦

مدى الاهتمام بالسّياسة	المغاربة	الأتراك	السوريناميون	مهاجرو الأنتيل وجزيرة أروبا	الهولنديون الأصليون

101 - CBS, *Jaarraport Integratie*, Holland, 2008, p. 204.
102 - http://islamineurope.blogspot.com/

لا يهتمّ بالسّياسة	٤١	٥٥	٣٢	٤٦	٢١
اهتمام قليل	٤٠	٣٤	٤٦	٣٧	٥٧
اهتمام كثير	٢٠	١١	٢١	١٧	٢١

- Source: CBS, *Jaarrapport Integratie*, 2008, p. 212.

شكل رقم (١٥) النّسبة المئويّة للاهتمام بالسّياسة وسط الجاليات المهاجرة في هولندا (عام ٢٠٠٦)

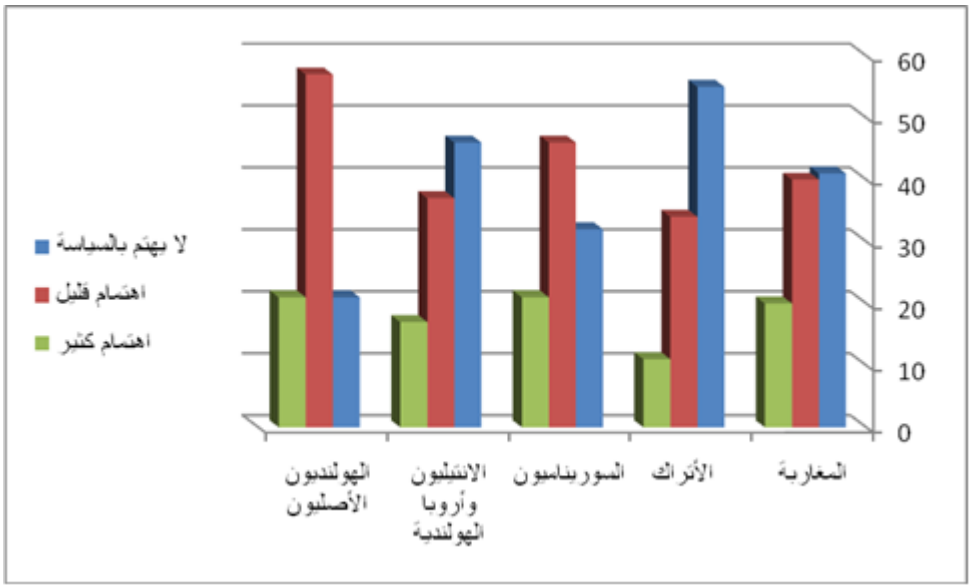

ومع هذا، فإنَّ المشهد السياسيّ ليس غريبًا عن المغاربة، سواء على مستوى التّمثيل في البرلمان، أو مجالس البلديّات، بل وحتّى رئاسة البلديّة نفسها كما هو الشّأن في روتردام مع عمدتها المغربيّ أحمد أبو طالب.

ويعود انخفاض نسبة الاهتمام بالسّياسة إلى نفس الأسباب التي شخّصناها سابقًا، وهي تخلّف البنية الاجتماعيّة– الاقتصاديّة والثقافية لبلدان الأصل، وما ينتج عنها من قلّة انخراط المواطنين في الحياة السياسيّة.

لقد بات الوجود المغربيّ في هولندا من ناحية أخرى، مساهمًا في تشكيل واقع المجتمع الهولنديّ من كلّ جوانبه. فالكتّاب المغاربة يساهمون في مجال الكتابة الأدبيّة باللغة الهولندية بإبداعاتهم المتواصلة في القصّة

والشعر والرواية، ولقد ترسّخت أقدام المغاربة في ميادين لعبة كرة القدم، تُوِّج أحد اللاعبين المغاربة كأحسن هدّاف في الدّوريّ الهولنديّ الممتاز[١٠٣].

وفي الجانب السّياسيّ، وبعد عام ١٩٩٥ في بلجيكا، لم يعد المهاجر المغربيّ يكتفي فقط بالتّصويت، بل راوده الطّموح إلى كسر الحاجز السياسيّ والترشّح للانتخابات ضمن أحزاب معروفة ببعض مواقفها الليّنة تجاه الهجرة المغربيّة، وقد وجدت هذه الأحزاب أنّ ترشيح المغاربة في صفوفها، يكسبها أصوات النّاخبين ذوي الأصول العربية والإسلامية. حيث بلغ عدد المنتخَبين من أصولٍ مغربيّة ٧٢ مُنتخَبا في بروكسل في انتخابات عام ٢٠٠٠، من مجموع ٨٩ من أصول غير أوروبيّة، وعام ٢٠٠٤ تمّ تعيين امرأة من أصل مغربيّ في منصب كاتبة الدّولة للعمل.

أمّا في الجانب العلميّ والمعرفيّ، فقد تميّزت هذه الفترة بوصول بعض أفراد الجالية المغربيّة إلى شغل مناصب في الجامعات ومراكز البحث العلميّ بعد أن أكملوا دراستهم بتفوّق. وأصبحوا ينافسون زملاءَهم البلجيكيّين. وشهدت الفترة ذاتها وصول بعض المغاربة إلى الإذاعة والتلفزيون[١٠٤].

ومع ذلك، لا يزال الاندماج المغربيّ في المجتمع الهولنديّ المُضيف ضعيفًا، ويرى الكاتب المغربيّ التجاني بولعوالي المقيم في هولندا "أنّ أغلب التلاميذ الذين ينتمون إلى الجيل الأخير، ويُعتبرون غربيّين بالولادة والجنسيّة واللغة وما إلى ذلك، يحملون وعيًا لا يختلف كثيرًا عن وعي الجيل الأوّل؛ جيل الآباء! وهو وعي يرى في الإسلام المنغلق عقيدة مبنيّة ليس على عداء الغرب وإنّما رفضه، فشعور العداء قد يُشذب ويُصحّح عن طريق الحوار الإيجابيّ المتواصل، أمّا شعور الرفض فيتّخذ طابعًا إشكاليًّا، لا تجدي معه الوصفات السياسيّة والإداريّة، فهم يكنّون للغرب هذا الشّعور، رغم أنهم يشكّلون جزءًا من المجتمع الغربي"[١٠٥].

وفي تقديرنا، فإنّ أحد العوامل الأخرى التي تساهم في ضعف الاندماج، وجود المنظّمات الخاصّة بالمغاربة والتي بلغ عددها ٦٨١ عام ١٩٩٩، كما يبيّن الجدول التالي. ورغم أنّ هذه المنظّمات تساهم في الحفاظ على الهويّة وتقوية الترابط الاجتماعيّ بين المغاربة من خلال نشاطاتها المتنوّعة، إلا أنّها مقصورةٌ على المغاربة، فهي تساهم في عزلتهم عن المجتمع المضيف.

---

١٠٣ - موقع إذاعة هولندا العربية.

١٠٤ - عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج...**، مصدر سبق ذكره، ص ١٧-١٨.

١٠٥ - التجاني بولعوالي، **المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل**، مصدر سبق ذكره، ص١١.

جدول رقم (٢٥) عدد المنظّمات العائدة للجاليات المغربيّة والتركيّة والسوريناميّة في هولندا

الجاليات	عدد المهاجرين	مجموع المنظمات	المنظمات الإسلامية	نسبة المنظمات الإسلامية من المجموع %	عدد المساجد
المغاربة (١٩٩٩)	٢٧٣,٠٠٠	٦٨١	١٧١	٢٥,١	٩٢
الأتراك (٢٠٠١)	٣٠٠,٠٠٠	١١٢٥	٣٥٦	٣١,٦	٢٠٦
السوريناميون (٢٠٠٢)	٣١٥,٠٠٠	٨٨١	٨٩	١٠,١	٦
المجموع	٨٨٨,٠٠٠	٢٦٨٧	٦١٦	٢٢,٩	٣٠٤

- Source: Karen Phalet, et la., "Moslim in Nederland", *Den Haag, Sociaal en Cultureel Planbureau*, 2004, p. 35.

تصاعد العنصريّة يحدّ من عمليّة الاندماج

لقد شهدنا في الأربعين سنة الأخيرة، ثورةً حقيقيةً في جميع أنحاء العالم، في العلاقات بين الدول والأقليات العرقية، حيث بدأت النماذج القديمة للدولة القومية ذات النسيج المتماثل والمنسجم في الاختفاء، وراحت تحلّ محلّها نماذج من التعدّديّة الثقافية للدولة الوطنية والمواطنة.

وقد انعكس ذلك، على سبيل المثال، في التبنّي واسع الانتشار للتكيف الثقافي والديني عند الجماعات المهاجرة، وكثيرًا ما كان هذا التغير نتيجةً للعمليات السياسية المحلية التي تنشأ داخليًّا، وبعد فترة من المنازعات والمفاوضات الداخليّة، واستجابة لتحرّك مكثّف من بعض الأقليات، انتهى عدد من البلدان إلى أن النماذج القديمة لم تعد تتناسب مع ظروفها التاريخية والسكانية الخاصة.

وباختصار؛ يشهد العالم زيادةً في تدويل علاقة الأقلّية بالدولة، كما نشاهد انتشارا عالميًّا لفكرة التعدّدية الثقافية كإطار جديد لإصلاح هذه العلاقة[١٠٦]، ولقد ساهم هذا في تبنّي سياسات رسميّة في الدول المستقبلة

[١٠٦] - ويل كيمليكا، أوديسا التعددية الثقافية سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، ٢٠١١)، ص ١٧-١٨. منذ أواخر الستينيات من القرن الماضي رأينا تغيرا قويا تجاه المهاجرين نتيجة الحاجة للأيدي العاملة فقد كان هناك تغيران مرتبطان: الأول تبني معايير الحياد العنصري، بحيث يتزايد عدد المهاجرين إلى البلدان الأوروبية من مجتمعات غير

للهجرة ومنها هولندا، تقرّ بالتعدد الثقافي، ولكن بدرجات متفاوتة، وتمثّل فرنسا الاستثناء الرئيس في هذا الجانب والتي أبقت على مفهوم استيعاب المهاجرين في الثقافة الفرنسية بدل الاعتراف بتعدد ثقافي.

ومع ذلك كله، يساهم تصاعد العنصرية في الإبطاء والحدّ من عملية الاندماج، حيث أصبح تدفق الكثير من المهاجرين الأجانب مصحوبًا بتوترات اجتماعية خطرة في مختلف الدول المضيفة، بسبب تشكيلة واسعة من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية السلبية تجاه الخارج.

ولذلك، نشهد ضغوطا متزايدة لتحديد هجرة الأجانب، خلفيتها وصول الطاقة الاستيعابية للدول المضيفة إلى نهايتها. هذه النظرة السلبية تجاه الخارج، تشمل كلًّا من سوق العمل وسوق السكن في التجمعات الحضرية الكبيرة، وبالتالي تتولد نزعة تعتبر المهاجرين مصدر مشاكل، بدلًا من اعتبارهم مصدرًا لفرص عمل جديدة للاقتصاد الحضري[١٠٧].

إنّ من أبرز العوامل التي تساهم في تصاعد ظاهرة العنصريّة، الأزمات الاقتصادية والمالية الدورية التي تمرّ بها الدول الرأسمالية المستقبلة للهجرة بين فترة وأخرى، فبحسب استطلاعٍ أجرته جريدة الفايننشيال تايمز في أواخر آب/أغسطس ٢٠١٠، قال ما نسبته ٤٨% من مستطلعين فرنسيين إنّ وجود المهاجرين له تداعيات سلبية على الاقتصاد. وفي إسبانيا، حيث تبلغ نسبة البطالة ٢٠%، عبّر ٦٧% عن اعتقادهم أنّ الهجرة إلى بلادهم تصّعب من إمكانيّة حصولهم على العمل، كما اعتقد ٣٢% منهم أن وجود العمالة المهاجرة قد أدّى إلى خفض الرواتب التي يحصلون عليها. وقد وافق ستة من كل عشرة مشاركين من بريطانيا على أن وجود المهاجرين قد أثّر سلبًا في نوعية الحياة في البلاد، وقرّر ٦٣% أن الهجرة تؤثّر سلبًا في مستوى الخدمات الصحّية التي تقدّمها الدولة، بينما قال ٦٦% إنّ ذلك ينعكس سلبا في الخدمات التعليمية التي تقدّمها الحكومة[١٠٨]. وفي تقديرنا، تعكس هذه النسب تصاعد حدّة الأزمة الماليّة والاقتصاديّة التي اندلعت عام ٢٠٠٨، ولاتزال تفاعلاتها مستمرّةً خصوصًا في الدول الرأسماليّة المتقدّمة.

أوروبية (وغالبا غير مسيحية)، الثاني: تبني تصور للتكامل، يميل أكثر نحو "التعدد الثقافي". ولقد حدث هذان التغيران المزدوجان، بدرجات مختلفة، في كل بلدان المهجر التقليدية. و تحولت جميع هذه البلدان من سياسات الدخول والتجنس التمييزية إلى سياسات الحياد العنصري. كما تحولت كلها من مفهوم التكامل الاستيعابي إلى مفهوم أقرب إلى التعدد الثقافي. وبعض هذه البلدان تبنّت جوانب من منظور "التعدد الثقافي" مثل هولندا والسويد ، وتعد الأخيرة الحالة البارزة هنا، بإعلانها عام ٢٠٠٦ عاما للتعدد الثقافي. للمزيد راجع نفس المصدر ص ٩٤-١٠٠.

[107] - Peter Nijkamp, et al, *Journal of Economic and Social Geography*, Vol. 101, No. 4, 2010, p. 372. (pp. 371-391)

[١٠٨] - كارن أبو الخير، "ملامح الجدل الأوروبي حول الهجرة والإسلام"، **مجلة السياسة الدولية:** http://www.siyassa.org.eg

إنّ المهاجر المغربي الذي ترك وطنه قسرًا أو طوعًا واستقرّ في المهجر، يتعرّض لإكراهات وضغوطات نفسية واقتصادية وحتى جسدية، نتيجة وجوده في بيئة تزداد يومًا بعد يوم شراسة تجاهه. فعندما يتم الحديث عن ارتفاع نسبة البطالة، فإن أصابع الاتهام تشير أولًا إلى مسؤولية المهاجر، وحينما تتأزم وضعية البلاد اقتصاديًّا، فإنّ تحويلات المهاجرين إلى بلادهم هي السّبب. ولكي يتصدّر أحدهم المشهد الإعلامي، يهاجم المهاجرين وخصوصا العرب والمسلمين منهم، ثم يتحدث بإسهاب عن انعدام الأمن وارتفاع نسبة الإجرام وارتباطه بهم، ولا يتورّع بعد ذلك عن إدانة سياسات الهجرة السابقة، وتحميل المسؤولية للأحزاب التي حكمت البلاد وتسبّبت في استقدام أعدادٍ كبيرة من المهاجرين الذين فشلت معهم، على حدّ زعمه، كلّ محاولات الاندماج[١٠٩].

وقد برز في هولندا السياسيّ بيم فورتاين بمواقفه المتطرّفة تجاه هجرة العمالة، تحت شعار "هولندا امتلأت"، وطالب بسياسة أكثر حزمًا، واشترط اندماجهم في المجتمع، وطالب بتحديد نشاط الثقافات الأخرى؛ الدينية منها خاصة، التي اعتبرها تتناقض مع ثقافة المجتمع الهولندي، بل تشكّل خطرًا عليه. وقد هاجم فورتاين الإسلام ووصفه بمقولته التي اشتهرت: "أجد الإسلام ثقافة متخلّفة"، وفي عام ١٩٩٧ ألّف كتابا معاديًا للإسلام بعنوان "ضدّ أسلمة ثقافتنا".

وقد طرد فورتاين من حزب Lief baar Nederland اليميني بسبب مواقفه المتطرّفة، ليؤسّس حزبًا، سمّاه "لائحة بيم فورتاين"، ونتيجة تناغم طروحاته مع نزعة اليمين التي تنامت في أوروبا، فقد حصل على نسبة كبيرة، في أوّل مشاركة له في الانتخابات البرلمانيّة عام ٢٠٠٢، ليحتلّ المركز الثاني، مع أنّ زعيم هذا الاتّجاه اغتيل قبل الانتخابات هذه بأسبوعين تقريبًا على يد شاب هولندي بدافع طروحاته المعادية للأجانب؛ إلا أن الحزب في الدورة الثانية خسر خسارة فادحة بسبب تهافت طروحاته من جانب، وخلافات قياديّي الحزب فيما بينهم من جانب آخر[١١٠]. هذا لم يضعف من نزعة اليمين المتطرف في المجتمع الهولندي التي عبّرت عنها ظواهر أخرى مثل حادثة مقتل المخرج والصحفي الهولندي ثيو فان خوخ عام ٢٠٠٤، على يد شاب مغربيّ الأصل[١١١].

---

١٠٩ - عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج...**، مصدر سبق ذكره، ص ٧.

١١٠ - حميد الهاشمي، **العرب وهولندا الأحوال الاجتماعية للمهاجرين العرب في هولندا**، مصدر سبق ذكره، ص٥٩- ٦١.

١١١ - هزّت المجتمع الهولندي هذه الحادثة والتي جاءت انتقاما من إخراج ثيو فان خوخ فيلما قصيرا ينتقد فيه ممارسات محسوبة على الإسلام تسيء إلى المرأة. وقد اعتبرت أوساط هولندية كثيرة هذه الفعلة تعدّيا على حرية التعبير وزادت من التعاطف الشعبي مع اليمين المتطرف. وقد نتج عنها ردود فعل ضدّ بعض المراكز الإسلامية وبالمقابل ضدّ بعض الكنائس على يد بعض المغاربة لكن الحكومة الهولندية بادرت إلى تهدئة الأمور.

وامتدادًا لظاهرة اليمين المتطرف، برز إلى الواجهة سياسيّ هولنديّ آخر هو خيرت فيلدرز؛ زعيم حزب الحرية اليمينيّ، وعضو البرلمان الهولنديّ منذ عام ١٩٩٨ لغاية ٢٠٠٦، كنائب عن حزب الشعب من أجل الحرية والديمقراطيّة، ثمّ منذ عام ٢٠٠٦، نائبا عن حزب الحرية الذي أسّسه بنفسه وتزعّمه. والذي يرى أنّ الإسلام "دين عنيف وعدائيّ" وأنه "خطر" على الحياة الهولندية[١١٢].

طوال السنوات الماضية كان خيرت فيلدرز كثير الحديث عن أئمّة المساجد المسلمين، الذين يبثّون أفكارًا تحضّ على الكراهية، كما أنَّ اليسار الاجتماعي، الذي كان هدفًا للهجوم الدامي في النرويج هذا العام (٢٠١١)، كان هدفًا دائمًا للهجوم من قبل فيلدرز. ففي شهر آذار/مارس الماضي، قال في العاصمة الإيطالية روما، إن اليساريين من أنصار التعدّدية الثقافية يطربون فرحًا كلّما أُنشئت محكمة للشريعة، أو أقيم مسجدٌ جديدٌ في أوروبا. وقال أيضًا إنّ أوروبا ستنهار بسبب غبائها الذي يجعلها تعتقد أنّ كلّ الثقافات متساوية القيمة، ولذلك لا ترى مبرّرًا للقتال من أجل ثقافتها الخاصّة. وفي الأوّل من أيار/ مايو الماضي، أرسل فيلدرز رسالة إلى زعيم حزب العمل الهولندي، يوب كوهين، جاء فيها: "تهانينا يوب في الذكرى الـ ٦٥ لتأسيس حزب "العرب". لقد أعطيتم هولندا الهجرة الجماعيّة واستوردتم الكثير من الفاشلين والمجرمين"[١١٣].

من جانبه، وجّه زعيم حزب العمل رسالة إلى فيلدرز في هذا الصّدد جاء فيها: "بالتأكيد نأى فيلدرز بنفسه عن الجريمة [أي جريمة النرويج السابقة الذكر]، وهذا أمر جيّد جدًّا. وأعتقد أن على السياسيّين جميعًا، ومن بينهم فيلدرز، أن يدركوا دائمًا ما تفعله الكلمة. الكلمة لها أثرها وتفعل فعلها بطرقٍ شتّى، ويمكن أن يصل أثرها إلى شخص مثل هذا السيد [القاتل النرويجي]. لا يمكن القول إنّ فيلدرز مسؤول بأيّ شكل من الأشكال، لكنه [المجرم] يستند في تبرير فعلته على الأفكار ذاتها التي يستند إليها فيلدرز".

وأمّا النائب عن حزب اليسار الأخضر، توفيق ديبي، فقد طلب استدعاء رئيس الوزراء مارك روته، إلى البرلمان للنقاش حول العداء للأجانب في هولندا. ويرى ديبي أن حزب الحرية الذي يتزعّمه خيرت فيلدرز، أمامه مسؤولية كبيرة بأن "يجد قنوات لتفريغ مشاعر النّقمة". وقال إنه يريد أن يتحدّث في البرلمان عن نقاط التلاقي بين أفكار برايفيك (وهو القاتل النرويجيّ) والأفكار المشابهة الشّائعة في هولندا، خاصّة في الدوائر القريبة من حزب الحرية[١١٤].

---

١١٢ - حميد الهاشمي، **العرب وهولندا الأحوال الاجتماعية للمهاجرين العرب في هولندا**، مصدر سبق ذكره، ص٦٢-٦٣.

113 - http://www.rnw.nl/arabic/article

١١٤ - يُشار إلى أنّ بعض الصحف الهولندية لفتت الانتباه إلى ورود هولندا، والجدل الدائر فيها حول الإسلام، وحزب الحرية، الذي يقود الحملة المناهضة للإسلام في هولندا، عدة مرّات في "بيان برايفيك" وهو وثيقة تزيد على ١٥٠٠ صفحة تركها النرويجي الذي اعترف بمسؤوليته عن الهجومين اللذين أوقعا ستة وسبعين قتيلا هذا العام في النرويج. كما توقف بعض الصحافيين الهولنديين عند التشابه الكبير بين الأفكار الواردة في "البيان" والأفكار التي يرددها عادة السيد خيرت فيلدرز، وأعضاء حزبه، عن ضرورة "الكفاح" ضد الإسلام في أوروبا، وكذلك، "الكفاح" ضد النخبة السياسية الأوروبية، وخاصة اليسارية، التي سمحت للمهاجرين المسلمين بأن يستوطنوا الدول الأوروبية، حسب أدبيات حزب الحرية. للمزيد راجع موقع http://www.rnw.nl/arabic/article

لقد عبّر الحزب الاشتراكيّ الهولندي؛ الذي تحوي صفوفه الكثير من المهاجرين الذين رُشّح بعضهم في الانتخابات البرلمانية، عن انسداد أفق اندماج الأجانب في المجتمع الهولنديّ، واتّهم السياسات الفاشلة للحكومات المتتالية، التي أبرزت شكلًا جديدًا من التفرقة، أثار التمييز في العديد من المجالات، وألحق الضّرر في التضامن الاجتماعي، مقترحًا خطّة فوريّة تحت اسم "الدلتا" شعارها: "أن نفحص الواقع معًا، أن نختار معًا، أن نسكن معًا، وأن نعيش معًا"، تقتضي ضرورة إجراء تحقيق برلمانيّ لمعرفة الأسباب الحقيقيّة وراء هذا الفشل، وإعادة توزيع الهولنديّين من الأصول الأجنبيّة والهولنديّة بشكل أكثر توازنًا في مجالات السّكن والعمل والدّراسة. وإعطاء الأولويّة لاتباع سياسة صحيحة تشجّع وتحفّز الاندماج[١١٥].

أمّا في فرنسا، وخلال العقدين الماضيين، أصبحت الهجرة واندماج الأقليات الأثنيّة والعنصريّة موضوعات مركزية في السياسة الفرنسية، فقد أظهر استطلاعٌ للرّأي العامّ في عام ١٩٩٠ أنّ الهجرة إلى فرنسا كانت القضيّة الثانية الأكثر أهمّية بعد قضية التفاوت الاجتماعيّ والاقتصاديّ، ويدور النقاش السياسي المكثف حول مستقبل الأقليات الأثنيّة بوصفها جيوبًا عسيرة الهضم تهدّد وحدة الشعب الفرنسيّ. ويتمّ التّركيز؛ وبشكل ثابت، على وضع "العرب" المنحدرين من شمال أفريقيا وخصوصًا المغاربة والجزائريّين والتّونسيّين. لقد أصبح مهاجرو شمال أفريقيا؛ وبالأخصّ الجيل الثاني، أكثر عرضة للحوادث العنصريّة مثل سوء المعاملة والاعتداء والقتل بالمقارنة مع أيّ أقلّية أخرى[١١٦].

كذلك مشروع الرئيس ساركوزي الذي أعلن عنه في ٣٠ يوليو/تمّوز ٢٠١٠، والذي يلوّح بإصدار قانون يجرّد بموجبه الأجانب الحاصلين على الجنسيّة الفرنسية من جنسيتهم، إذا استهدفوا رجال الأمن وممثّلي الدولة وعرّضوا حياتهم للخطر، علمًا أنّ أحد المنتخبين عن الحزب الاشتراكيّ، انتقد "سياسة ساركوزي العدائية ضدّ المهاجرين" واعتبر "أنّ التهوين من أشكال التمييز التي تمارس في فرنسا، هو الذي يهدّد الانسجام الاجتماعيّ"[١١٧].

يبقى الاندماج قضية إشكالية مطروحة للنقاش سواء من قبل الدول المضيفة أو الجاليات المهاجرة، تقيّده عوائق عديدة تحول دون سرعة الاندماج، منها تباين الخلفية الثقافية والحضارية والدينية بين مجتمعات

---

[١١٥] - حميد الهاشمي، **العرب وهولندا الأحوال الاجتماعية للمهاجرين العرب في هولندا**، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤-٧٥.

[116] - Neil MacMaster, *Colonial Migrants and Racism: Algerians in France, 1900-1962*, (New York, Macmillan Press, 1997), p. 1-15.

[١١٧] - جريدة الشرق الأوسط، آب/ أغسطس ١١، ٢٠١٠.

الأصل والاستقبال، وتخلف البنية الاجتماعية – الاقتصادية في الدول المرسلة للمهاجرين، والإرث الاستعماري للدول المستقبلة لهم مثل هولندا.

لقد لعب الاستعمار دورًا محوريًّا في استلاب هذه الدول وساهم في تخلفها، وهذه النظرة لا بدَّ أن تساهم في التأثير في وعي المهاجرين بقدر معيّن تجاه عملية الاندماج، ورغم تبنّي سياسات من قبل الدول الأوروبية ومنها هولندا، للمساهمة في تسهيل الاندماج في المجتمع المضيف لكن تأثيراتها لا تزال محدودة.

التّحويلات والتّنمية الاجتماعيّة– الاقتصاديّة

تعدّ التحويلات المالية من المواضيع المهمة التي استقطبت البحث المتعلق بالهجرة الدولية ونتائجها، ويلاحظ أن هذا الموضوع نال القليل من الاهتمام والبحث الأكاديمي في الدول العربية المصدّرة للعمالة وذلك رغم أهميته الاقتصادية والاجتماعية الأساسية[١١٨].

والدليل على هذه الأهمية، بحسب تقدير البنك الدولي، ما تم تحويله إلى البلدان النامية بطرق شتى، والذي يتجاوز ٢٥٠ مليار دولار عام ٢٠٠٥، نصف هذه التحويلات غير رسمية[١١٩]. هذه الأرقام الضخمة تعكس مدى الأهمية التي باتت تحتلّها التحويلات في اقتصاديات دول الهجرة المغادرة.

يبرز الجدول التالي والشكل الذي يرافقه مدى أهمية هذا الموضوع، حيث يتبين أنّ ما تشكّله التحويلات الرسمية يشكّل نسبة مهمة من الناتج المحلي الإجمالي، ويؤثّر في إجماليّ الصادرات والواردات وذلك عامي ٢٠٠٠–٢٠٠٤.

جدول رقم (٢٦) التّحويلات الرّسميّة نسبة إلى النّاتج المحلّي الإجماليّ وإجماليّ الصّادرات والواردات لعدد من البلدان العربيّة لعامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٤

البلدان	النّاتج المحلّي الإجماليّ		إجماليّ الصّادرات		إجماليّ الواردات	
	٢٠٠٠	٢٠٠٤	٢٠٠٠	٢٠٠٤	٢٠٠٠	٢٠٠٤

[١١٨] - للمزيد حول العلاقة بين الهجرة والتنمية الاجتماعية-الاقتصادية راجع بحثنا، الهجرة الدولية والتنمية الاجتماعية – الاقتصادية، (المغرب: منشورات مقاربات، ٢٠٠٩)

[١١٩] - محمد الأمين فارس، **تحويلات العمال المهاجرين إلى المنطقة العربية السمات والآثار**، (بيروت: الأمم المتحدة، ٢٠٠٦)، ص ٥.

الأردن	١٩,٦	١٧,٩	٨٧,٤	٧١,٤	٣٣,١	٢٥,٢
تونس	٤,١	٤,٩	١٣,٦	١٤,٣	٩,٣	١٠,٨
سوريا	–	٢,٩	–	١٣,٤	–	١٠,٣
مصر	٣,٣	٣,٤	٤٠,٤	٢٧,٢	١٧,٥	١٦,٩
اليمن	١٣,٥	٩,٩	٣٣,٩	٢٧,٢	٥٥,٤	٣٤,٣
المغرب	٦,٥	٨,٤	٢٩,٥	٤٣,٣	١٨,٧	٢٣,٩
الجزائر	–	٣,٦	–	٦,١	–	١٢,٠
السّودان	٤,٩	٦,٤	٣٥,٣	٣٧,١	٤١,١	٣٤,٤
لبنان	–	٢٦,٢	–	٢٩٦,٠	–	٥٥,١

- المصدر: الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي آخرون: التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠٥، (نقلا عن: محمد الأمين فارس، **تحويلات العمال المهاجرين إلى المنطقة العربية السمات والآثار**، (بيروت: الأمم المتحدة، ٢٠٠٦)، ص ١٦.

شكل رقم (١٦) التّحويلات الرسميّة نسبة إلى النّاتج المحلّي الإجماليّ وإجماليّ الصّادرات والواردات لعدد من البلدان العربيّة عام ٢٠٠٤.

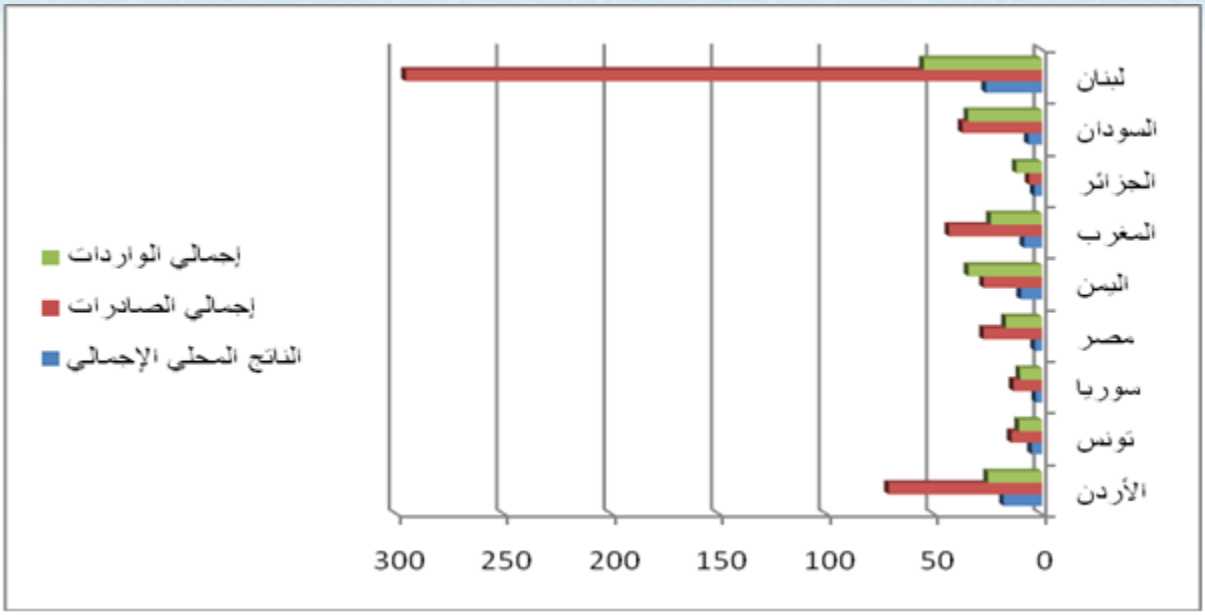

يلاحظ ارتفاع النسبة في المغرب إلى ٨,٤% و٤٣,٣% و٢٣,٩% على التوالي خلال هذه الفترة. وترتفع المعدّلات أكثر في الأردن ولبنان. وقد بلغ مجموع التحويلات إلى هذه المنطقة، ٢٥,١٦٢ مليار دولار عام ٢٠٠٦، وهو يمثّل ضعف المبلغ عام ٢٠٠٠ البالغ ١٢,٩٢٠ مليار دولار، في حين ارتفع المبلغ بمعدّل أقلّ في التسعينيّات من القرن الماضي، حيث كان ١١,٤٣٢ مليارا عام ١٩٩٠.

ويشكّل المبلغ المسجَّل عام ٢٠٠٦ نحو ٣% من إجماليّ الناتج المحلّي في المنطقة، و٣٧% من صادرات الخدمات التجاريّة، و٣١% من الصّادرات الصناعيّة، و٨٧% من معونات التّنمية الرسميّة. وقد تساوت النّسب في كلٍّ من المغرب ومصر ولبنان من مجموع التدفّقات الماليّة لعام ٢٠٠٦، حيث بلغت ١٤% لكلّ منهما، فيما بلغت حصّة كلّ من الجزائر والأردن ٧%، واقتسمت الدّول الأخرى المتبقّي (٤٣%)[١٢٠].

ارتفعت التّحويلات نحو المغرب من ١٩٧٠,٠ مليون عام ١٩٧٠ إلى ٤٢١٨,٠ مليون دولار عام ٢٠٠٥، لترتفع نسبتها من الناتج المحلي الإجمالي من ٦% إلى ٨,٥%، وليرتفع نصيب الفرد منها من ٧٣ دولارا إلى ١٣٤ على التوالي في نفس الفترة[١٢١].

واستنادا إلى وزارة المالية المغربية، بلغت الأموال التي حوّلها المغاربة المقيمون في الخارج عام ٢٠٠٧ نحو ٤,٨ مليار يورو، أي ١٥,١% من الاستثمارات الأجنبيّة المباشرة، التي يتركّز ٦٥-٧٢% من مجملها في

[١٢٠] - محمد عارف، "حركة الكفاءات العربية، الإقليمية والدولية"، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩.

[121] - UN, International Migration Repot 2006: a Global Assessment, p. 242.

القطاع العقاريّ[١٢٢]، وبلغت التحويلات عام ٢٠٠٨ نحو ٦,٧ مليار دولار، وشكّلت نسبة ٩% من الناتج المحلي الإجمالي. في حين بلغت بالنسبة إلى مصر ولبنان ٩,٥ و٦ مليار دولار، وشكّلت نسبة ٥,٩% و٢١,٧% على التوالي من الناتج المحلي الإجمالي في ذات السنة[١٢٣].

وشهدت تحويلات المغاربة في الخارج انخفاضًا كبيرًا سنة ٢٠٠٩ بنحو ١٤% نتيجة الأزمة المالية، كما أنّ الانخفاض بدا جليًّا بالنسبة إلى الحوّالات المصرفيّة التي تراجعت بدورها بنسبة ١٠,٧%. ويرجع تقلّص تحويلات المهاجرين المغاربة في تلك الفترة إلى ارتفاع معدّلات البطالة، التي يتحمّل ثقلها المهاجرون أكثر من غيرهم.

وتفيد الإحصائيات أنّ اقتصاديّات البلدان التي تستقبل جالية مغربيّة بدأت تنتعش من ناحية العدد، مع بداية سنة ٢٠١٠، خصوصا في إسبانيا، وإيطاليا، وفرنسا، إضافة إلى بلجيكا، وهولندا.

وتشكّل تحويلات المغاربة من فرنسا وبلجيكا وهولندا، وحدها ٥٠% من مجموع المبلغ الإجماليّ، لكن ظهرت في السّنوات الماضية الجالية المغربيّة في إيطاليا كقوّة اقتصاديّة واستثمارية[١٢٤]. وبينما يشكّل المغاربة في إسبانيا أكبر الجاليات المغربيّة في الخارج، تبقى دول أوروبية أخرى أكثر أهمية بالنسبة إلى الهجرة، إذا ما نُظر إلى حجم التّحويلات، فعلى سبيل المثال تشكّل التّحويلات الآتية من فرنسا خمسة أضعاف التّحويلات المرسلة من إسبانيا تقريبًا[١٢٥].

تظلّ التحويلات مؤشّرًا على الارتباط الوثيق بين المهاجرين وبلدهم الأصليّ، ففي حالة المغرب يشير بحثٌ ميدانيّ إلى أنّ أكثر من ٩ من أصل ١٠ مهاجرين، قد أرسلوا تحويلات ماليّة إلى المغرب خلال الخمس سنوات التي غطّاها البحث، وما يقارب الـ ٦٠% أكّدوا أنهم حوّلوا على الأقلّ ربع دخلهم السنويّ[١٢٦]. هذا بالإضافة إلى الزيارات السنويّة التي يقوم بها المهاجرون المغاربة لبلدهم وخصوصًا في العطلة الصيفيّة، والتي تساهم في دعم النّشاط السياحيّ.

---

١٢٢ - محمد عارف، "حركة الكفاءات العربية، الإقليمية والدولية"، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩.

١٢٣ - الإسكوا، نشرة التنمية الاجتماعية، العدد ٦، آثار الأزمة المالية على الهجرة الدولية في المنطقة العربية، (عمان: ٢٠٠٩)، ص ٨.

١٢٤ - http://www.hespress.com ١٩ يونيو/ حزيران ٢٠١٠.

125 - Jorgen Carling, *Op. Cit.*, p. 9.

١٢٦ - محمد الخشاني (إعداد)، **التحويلات المالية للمهاجرين وأثرها على التنمية في بلدان المغرب العربي..، مصدر سبق ذكره**، ص ٧.

وبالنسبة إلى التحويلات العينية، يقيّم تحقيق شمل مصدرين رئيسين للهجرة هما: مدينتا الناظور في الشمال وتادلة وسط المغرب نسبتها بـ ٣٠-٥٠% من مجموع التحويلات المالية. لكن إجمالا يمكن تقديرها ما بين ٢٠-٣٠% من المجموع[١٢٧].

تكمن الصعوبة في دراسة تحويلات المهاجرين في غموضها وصعوبة ضبطها، وذلك بسبب تنوّع أشكالها والقنوات المستعملة في إرسالها، فهناك مسالك رسمية ومؤسسات مالية وبنوك، وهناك طرق أخرى غير رسمية مثل السيولة المالية التي يدخلها المهاجر معه لقضاء العطلة أو تلك التي يرسلها مع الأشخاص، والتحويلات العينية مثل السيارات والأثاث وأدوات التجهيز المنزلي والآلات الالكترونية إلخ... وأخيرًا المقاصة التي يسدّد بموجبها المهاجر في بلد المهجر، ثمن مشتريات مواطن من معارفه، وفي المقابل يدفع المواطن إلى حساب المهاجر في بلده الأصلي أو إلى حساب أسرته بالعملة الوطنية. وتنتشر هذه الممارسة بسبب عدم قابلية النقود المغاربية للتحويل إلى العملة الصعبة[١٢٨].

ليست هناك سياسة حكومية مغربية تفكّر في الربط بين عوائد تحويلات المهاجرين والتنمية، بل بالعكس يتم الاستفادة منها في دعم الاستهلاك والاستثمار في العقار، والقليل يوجَّه مباشرة إلى مشاريعَ إنتاجيّة. ولدعم نقاشنا حول هذه العلاقة نستفيد هنا من بعض المعطيات المتوفّرة على مستوى بعض مناطق المغرب.

يتبيّن أنّ مساهمة الجالية المغربيّة المهاجِرة من سيدي أفني في القطاع التجاريّ في المغرب تظلّ محدودة نسبيًّا وتكاد لا تصل إلى ما نسبته ١٥%، ومن مجموع ١٠٠ مهاجرٍ تم استجوابهم عام ٢٠٠٠، تبيّن أنّ نسبة ١٤% فقط تستثمر في التّجارة كمقاولة عائلية، بينما يوجّه ما نسبته ٧٠%، استثماراته في عقارات في مجملها غير منتجة، بينما يظهر أنَّ نسبة استثمار الجالية الأفنية في الخارج في مجال الصيد البحري في المغرب لا تتعدّى ٥%[١٢٩].

إنَّ عائدات المهاجرين لا تُوَظف بالقدر والشكل المطلوبين، بل تذهب إلى عقارات جامدة (٣٨%)، أو في أرصدة عقارية (٣٢%)، وجزء ضئيل يستثمر عائليًّا في التجارة والخدمات والصيد البحري. وتصبُّ بعض الاستثمارات العصرية في الملاهي والمقاهي ودور اللعب والتي لا تنتج قيمة مضافة، ويظل رأس المال

[١٢٧] - المصدر نفسه، ص ٦-٧.
[١٢٨] - المصدر نفسه، ص ٦.
[١٢٩] - محمد بنعتو،" سيدي أفني: إشكالية الموارد البشرية والهجرة السرية"، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨-١٩.

الموظّف ضعيفًا جدًّا في وقت تصل فيه التحويلات المصرفية للمهاجر الباعمراني (نسبة إلى قبائل الباعمران في سيدي أفني) إلى نحو ٢٥٠ مليون درهم في الشهر، ممّا يولد لدى المهاجر فكرة المضاربة العقاريّة، على المباني من العقارات والعقارات الفارغة، وعِوَضَ العمل على الاستثمار في السّياحة أو الصيد البحريّ نجد المهاجر يتحوّل إلى مضارب[١٣٠]، مساهمًا في رفع أسعار العقارات أكثر من قيمتها الحقيقيّة وتفاقم أزمة السّكن بالنسبة إلى المواطن العاديّ.

ومع ذلك، فقد ساهمت الهجرة ولو لفترة محدودة في التّخفيف من حدّة البطالة في المغرب، علاوةً على أنّ تحويلات المهاجرين ومدخراتهم من العملة الصّعبة أصبحت تمثّل موردًا هامًّا لخزينة الدولة، وتشمل هذه: ١- تحويلات مصرفيّة. ٢- حوّالات بريديّة. ٣- تحويلات التّأمينات الاجتماعيّة. ٤- مبالغ مصرفة بالمصارف المغربيّة من قبل المهاجرين أثناء إجازاتهم. ٥- قيمة وسائل النقل المستوردة من قبل المهاجرين أثناء إجازاتهم.

لذلك، تعير الحكومة المغربيّة اهتمامًا خاصًّا لقضايا المهاجرين، وتحرص على إبقاء علاقاتهم بالبلاد وتمتينها، ويتجلّى ذلك في مختلف الإجراءات المتّخذة لتأطير المهاجرين في الخارج، ومن هذه الإجراءات:

- إنشاء وزارة شؤون الجالية المغربية في الخارج، وتمثيلها في القنصليات بواسطة ملحقين اجتماعيّين.
- إنشاء صندوق الهجرة لمساعدة المهاجرين (جمعيّة الحسن الثاني).
- تشجيع المهاجرين على استثمار أموالهم في مشاريعَ إنمائيّة داخل البلاد.

ورغم كلّ هذا، فإنّ ما تقدّمه الدوائر المغربية هو دون المطلوب، ذلك أنّ الكثير من مدخرات المهاجرين يستثمر في المهجر في التجارة مثل المطاعم والمقاهي والبناء.

غير أن الاقتصاد المغربي يحتاج إلى المزيد من أموال المهاجرين، ولذلك تحرص الدولة على مضاعفة تحويلاتهم أكثر ممّا تحرص على كيفيّة توظيفها في المشاريع الهادفة التي تعود على المجتمع بالتقدّم. إنّ كلّ

[١٣٠] - المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٩.

تحويلات ومدخرات المهاجرين تُستخدم في تسديد عجز ميزان المدفوعات، وتبقى الاستثمارات مشروطة بمبادرة المهاجرين الفردية[١٣١].

ومن هنا يفترض أن يتمّ التّركيز على استثمار الجزء الأكبر من التحويلات في القطاع الإنتاجيّ الذي يخلق بدوره المزيد من فرص العمل ويدعم قوّة الاقتصاد، رغم إقرار الحكومات بأنّ الإنفاق العامّ يعمل على مضاعفة الدّخل، وكذلك تعمل التّحويلات. حيث بيّنت الدراسات أنّ كلّ دولار من التحويلات يمكن أن يخلق ما بين دولارين إلى ثلاثة أو أكثر من الدّخل الجديد في المناطق المرسلة للمهاجرين. ورغم أنَّ العائلات تنفق ما تستلمه من تحويلات على شراء السّلع والخدمات التي يقوم آخرون بتوفيرها في الاقتصاد المحلّي، إلا أنّه يمكن أن تحفز الاستثمارات من قبل عائلات أخرى نتيجة ارتفاع دخلها.

إنَّ مضاعفة الدخل التي تنتج من التحويلات هي مثالٌ لما يسمّيه الاقتصاديون "التوازن العامّ" لتأثيرات الهجرة في اقتصاديات الدول المرسلة للمهاجرين، وهناك أنواعٌ أخرى من تأثيرات التوازن العامّ؛ فعلى سبيل المثال، من المحتمل أن يعمل الطلب الجديد الذي تحفزه الهجرة على رفع الأسعار بشكل غير تجاريّ بالنسبة إلى السّلع والخدمات التي يكون عرضها في الاقتصاد المحلّي ثابتًا مثل الأراضي، وهناك أدلّة تثبت أنّ الإيجارات وأسعار الأراضي تكون أعلى في المناطق المرسلة للمهاجرين بأعداد كبيرة[١٣٢].

يقود نقص التنمية إلى الهجرة، لكن الهجرة تؤثّر أيضًا في خفض التنمية. في الدول التي تشهد زيادة في الدّخل والإنتاج الزّراعي تعكس الهجرة النجاح، وتستطيع تحويلات المهاجرين أن تجد الأرض الخصبة للمساهمة في التنمية، ولكن في الاقتصاديات الراكدة والمخرّبة بفشل الأسواق، تعكس الهجرة التنمية الفاشلة ومن الأرجح أن تكون تأثيراتها الإيجابيّة أكثر محدوديّة، لذلك فإنّ الحكومات في حاجة إلى المشاركة النشطة في الهجرة الدولية من أجل جعلها وسيلة للتنمية الناجحة[١٣٣]، من خلال تبنّي مجموعة من الإجراءات تصبّ في هذا الهدف وتقلّل من التأثيرات السلبيّة.

---

[١٣١] - أحمد البكاي، **وضعية الطفل المغربي في المهجر..**، مصدر سبق ذكره، ص ١٩-٢٠.

[132] - Edward J.Taylor, *International Migration and Economic Development*, Italy, UN , 2006, p. 9.

[133] - *Ibid.*, pp. 11-15.

توجد علاقة ذات حدّين بين الهجرة والتّنمية، فهناك علاقة إيجابيّة وأخرى سلبية: حيث يمكن للهجرة أن تكون سببًا ونتيجةً للتخلّف في الوقت نفسه، بينما يزداد التخلّف أو يقلّ نتيجة الهجرة. لذلك لا يمكن رؤية الهجرة بشكلٍ مطلق على أنّها عقبة في وجه التّنمية أو إحدى إستراتيجيّات تحقيقها.

وعلى الصّعيد العالميّ، من الواضح أنَّ للهجرة تأثيرًا إيجابيًّا حيث يعتمد تأثيرها على التنمية في الدول والمجتمعات كلّ على حدة؛ على البيئة السياسية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية، وذلك يعتمد على خصائص وسلوكيّات المهاجرين.

وفي السّنوات الأخيرة، ازداد الاعتراف بعنصر التنمية الكامن في الهجرة، وتحوّل تركيز التفكير على الصّعيد الدوليّ من الانطباع السلبيّ المهيمن سابقًا، عن العلاقة بين الهجرة والتنمية والذي يؤكّد الحاجة إلى استئصال المسبّبات الرئيسة للهجرة، وهجرة العقول واستنزاف العمالة والهجرة من المناطق الرعويّة. أمّا الآن فهناك اهتمامٌ متزايد بالتأثيرات والاحتمالات الإيجابيّة للهجرة على التنمية، بما في ذلك المساهمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة للمهاجرين، وتخفيف الضّغط الديمغرافيّ وضغط سوق العمل في كلّ من بلدان الأصل والاستقبال[١٣٤].

وباستخدام معطيات مسوحات عائلية من ٧١ دولة نامية، وجدت دراسة أنّ تحويلات العمّال المهاجرين تقلّل بشكل مهمّ من مستوى الفقر وعمقه وشدّته في العالم النّامي، ووجدت أنّ زيادة في تحويلات كلّ عامل بنسبة ١٠% إلى بلده الأصليّ، تؤدّي في المتوسط إلى انخفاض نسبة السكّان الذين يعيشون في مستوى الفقر بـ ٣,٥%، وزيادة أخرى بنسبة ١٠%، ستقلّل مستوى الفقر في المتوسّط بـ ٣,٩%[١٣٥]. وهذا ما يلاحظ بوضوح في مناطق المغرب المرسلة للمهاجرين بكثرة.

يشكّك أحيانًا في الدور الإيجابي للتحويلات في عملية التنمية، وذلك لما تخلفه من حالة الاعتماد عليها، خاصّة عندما ترتفع نسبتها من الناتج المحليّ الإجماليّ كما في المغرب والأردن ولبنان واليمن، أو يكون دورها في تمويل الواردات كبيرًا كما في لبنان والسّودان واليمن والأردن، وقد تعمل على رفع قيمة العملة المحلّية وتضخّم الأجور في البلدان الأصلية، ممّا يخلق صعوبات للتّصدير والإنتاج.

134 ، ٢٠٠٦)، ص ٤.IOM- الهجرة الدولية والتنمية، انطباعات وخبرات المنظمة الدولية للهجرة، (جنيف:

135- Richard H. Adams, Jr., *Migration, Remittances and development: The Critical Nexus in the Middle East and North Africa*, (Beirut: UN, 2006), p. 5.

بل يذهب البعض إلى أنّها تخلق حالة المرض الهولندي Dutch Disease، كما هي حالة البلدان التي تعتمد على مصدر واحد للإنتاج مثل النّفط أو بعض الموادّ الأوليّة الأخرى، وقد اختبرت البلدان العربية بعض هذه السلبيّات، ولكن معوقات التنمية تكمن في أسباب أخرى[١٣٦] تتعلّق بضعف البنية الاقتصاديّة والاجتماعية والثقافيّة والسياسيّة لهذه البلدان ومنها المغرب.

من جانبٍ آخر، شكّلت الهجرة الخارجية أحد العناصر الأساسيّة في تطوّر المجال الحضريّ في المغرب، فمثلًا وابتداءً من عام ١٩٦٣، تغيّر النسيج الحضريّ لمدينة الناظور الواقعة شمال البلاد، وهي من المعاقل الأساسيّة للهجرة المغادرة، وذلك بانتشار سريع للبنايات في جميع الاتّجاهات، حيث بدأت المدينة تتوسّع من مركزها نتيجة التحوّلات التي طرأت على الظروف الاجتماعيّة–الاقتصادية لسكّان المدينة، بفعل تكثّف الهجرة بشكل كبير، ومن ثمّ تدفّق أموال التّحويلات وإقامة سلسلة من المشاريع الاقتصاديّة الكبرى المهمة، التي تزامنت مع اتّساع المدينة بفضل النشاط التجاريّ وعائدات الهجرة. وتبيّن من خلال بعض الدراسات أنّ أكثر من ٥٠% من مجموع المباني في مدينة الناظور، تمّ تشييدها من قبل العمّال القاطنين في الخارج من جهة، والعاملين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في التهريب من جهة أخرى.

إنّ الإشكاليّة المطروحة هي أنّ إقليم الناظور يعرف ظاهرة متناقضة، يعبّر عنها بضعف نموّ السكّان الحضريّين مقابل تطوّر كبير للسّكن الحضري[١٣٧]، الذي يستغلّ لفترة محدودة في السنة من قبل المهاجرين لقضاء عطلتهم في المغرب، ومن ثمَّ فإنّ مردوداته الاقتصاديّة محدودة.

سياسات الهجرة

يتّضح بشكلٍ جليّ أنّ الحكومة المغربية تشجّع الهجرة إلى الخارج، وهذا يعود إلى العديد من الأسباب التي تدفع العمالة إلى الهجرة والتي قمنا بتحليلها. وموقف الحكومة هذا يعود إلى سياستها التي ترى أنّ إيجابيّات الهجرة أكثر من سلبيّاتها، كما يبيّن الجدول التالي:

جدول رقم (٢٧) سياسة ورؤية المغرب للهجرة الدّوليّة

[١٣٦] ـ محمد الأمين فارس، **تحويلات العمال المهاجرين إلى المنطقة العربية السمات والآثار**، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

الأهداف الرئيسة لسياسة الهجرة	تقوية الروابط الثقافية بين المهاجرين والمغرب، تقديم المساعدة القانونيّة والثقافية والتعليمية للمهاجرين في بلد الهجرة.
هل أقرّت قوانين وتشريعات تخصّ الهجرة؟	توجد قوانين تخصّ مختلف أوجه الهجرة، أقرّت منذ أوائل التسعينيات، فيما عدا الهجرة العائدة.
هل توجد قاعدة بيانات تخصّ الهجرة؟	لا (بصدد الإنشاء)
مردود الهجرة في نظر الدّولة	إيجابيّ في الغالب
الإيجابيّات الرّئيسة	• تحسين دخل الأسرة وبعض المناطق • تبادل ثقافيّ وحضاريّ بين المجتمعات • الانتفاع من التّحويلات • تخفيض الضّغط على سوق العمل
السّلبيّات الرّئيسة	• هجرة الأدمغة • خلق نوع من عدم التّوازن المجاليّ
الحجم التّقديريّ للهجرة	• خلال الثمانينيات ١,٤ مليون • في ١٩٩٨ ما يزيد على مليونين
التوقّعات	ارتفاع حجم الهجرة
الدّراسات المطلوبة	• تطوّر أوضاع المهاجرين في الخارج • التّأثيرات الحديثة في بلد الأصل • دراسة العودة والاندماج

- المصدر: أحمد البكاي، **وضعية الطفل المغربي في المهجر: هولندا نموذجا**، (الرباط، مطبعة إليت، ١٩٩٤)، ص ١٨-٢٠.

هكذا نرى أنّ وجهة النظر الحكومية تجاه الهجرة خلال الفترة ١٩٧٦-٢٠٠٩، تتفرّع إلى اتّجاهين: إمّا تراها مرضية أو منخفضة جدًّا، أمّا سياستها تجاهها؛ فتتمثّل في إبقائها أو العمل على زيادتها باستثناء عام ١٩٩٦، حين قرّرت الحكومة عدم التدخّل، ولكن هذا الموقف لم يستمرّ.

وفيما يخصّ تشجيع عودة المهاجرين إلى المغرب، فلم يكن للحكومة المغربيّة موقف تجاهها طيلة هذه الفترة، عدا عام ٢٠٠٩ حين لمّحت سياستها إلى التّشجيع، ويبدو أنّ هذا الموقف مرتبط بتشجيع عودة المهاجرين، الذين يمكن أن تكون لديهم مشاريع استثماريّة في المغرب، كما يبيّن الجدول التّالي.

جدول رقم (٢٨) وجهة نظر وسياسة الحكومة المغربيّة تجاه الهجرة الخارجة

	١٩٧٦	١٩٨٦	١٩٩٦	٢٠٠٩
وجهة النّظر	مرضية	منخفضة جدًّا	مرضية	منخفضة جدًّا
السّياسة	بقاؤها	زيادتها	عدم التدخّل	بقاؤها
تشجيع عودة المواطنين	–	–	–	نعم

- Source: UN, *World Population Policies* 2009, New York, p. 233.

ومن ناحيةٍ أخرى، ونظرًا لإقبال اليد العاملة على الهجرة، قامت الدولة بتنظيمها عبر مجموعة من مكاتب العمل والقنصليّات، التي تشرف أحيانًا على إبرام اتفاقيّات جماعيّة أو تيسير بعض عقود العمل. ولكن الإجراءات المتشدّدة والمحاباة شجّعت أحيانًا على وجود سماسرة ووسطاء نشيطين في مجال سوق عمالة المهاجرين، ممّا عرّض كثيرًا من هؤلاء العمّال إلى الاستغلال البشع بواسطة السّماسرة في بلادهم والبلدان التي هاجروا إليها[١٣٨]. وفي تقديرنا، ينطبق هذا الوضع أكثر على بدايات الهجرة، عندما كان الطلب على العمالة المهاجرة قائمًا، أمّا الآن فقد تراجعت هذه التّرتيبات نتيجة لمحدوديّة الطلب على العمالة، أو توقّفه نتيجة الأسباب التي أشرنا لها سابقًا.

تتبنّى الحكومة المغربيّة مقاربةً تقوم على تقوية الرّوابط التي تجمع الجالية المغربيّة بوطنها، بما يحفظ هويّتها ويصون خصوصيتها الثقافية، وذلك بالموازاة مع دعم جهودها ومبادراتها للاندماج بشكلٍ أفضل في بلدان الإقامة، معتبرةً أنّ نجاح المهاجرين في الاندماج الجيد بهذه البلدان، يشكل استثمارًا كبيرًا على المدى البعيد، وإغناءً له، في الآن ذاته.

وبالإضافة إلى تعزيز الروابط الثقافية، تهتم باقي محاور الإستراتيجية الحكومية بالتعاطي مع قضايا الجالية المغربية، وخصوصًا الدفاع عن حقوق ومصالح المغاربة المقيمين بالخارج، وتحسين وضعيتهم القضائية

[١٣٨] - أحمد البكاي، **وضعية الطفل المغربي في المهجر..**، مصدر سبق ذكره، ص ١٨.

والاجتماعية، سواء داخل المغرب أو في بلدان الاستقبال، وتشجيع مغاربة المهجر على المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية للمغرب[١٣٩]، لذلك أفرد الدستور المغربي الجديد الذي أُقرّ في استفتاء شعبي بتاريخ ١ تموز/يوليو ٢٠١١ ثلاثة فصول تتعلّق بالهجرة إلى الخارج[١٤٠].

ونظرًا للعدد الضّخم من العمالة المهاجرة والمقيمة بشكل دائم في دول الاستقبال وبالأخصّ في أوروبا، يبقى المغرب في حاجة إلى تبنّي سياسات مدروسة وعمليّة لدمج الهجرة بالتّنمية الاجتماعيّة –الاقتصادية، وجعلها عنصرًا إيجابيًّا ومنتجًا من خلال وضع خطط على المدى القريب والبعيد، لاستثمار العائدات المتأتّية من المهاجرين في القطاع الإنتاجيّ من الاقتصاد، والعمل على التّخفيف من الآثار السلبية لهجرة العمالة الماهرة، وبالأخصّ أصحاب الكفاءات العلمية التي يحتاجها المغرب في تنميته من خلال توفير فرص العمل المناسبة وذات المردود المجزي.

الخلاصة

يتّضح من تحليل تطوّر هجرة العمالة من بلدان المغرب العربيّ، أنّها ارتبطت بدرجة كبيرة باستعمار هذه البلدان من قبل فرنسا وكانت محصلة لنتائجه، واستمرّت بوتيرة متصاعدة من بداية الستّينيّات نتيجة النموّ الاقتصاديّ الذي شهدته دول أوروبا الغربيّة حتّى عام ١٩٧٤، إلى أن بدأت في تطبيق الإجراءات التي تحدّ من دخول المهاجرين نتيجة الرّكود الاقتصاديّ الذي شهدته. لقد طرأ تغيّر على أعداد المهاجرين فقد أصبحت العمالة المغربيّة، تحتلّ المرتبة الأولى عدديًّا في أوروبا بين جاليات دول المغرب العربي، تليها العمالة الجزائرية التي كانت تحتلّ المرتبة الأولى سابقًا ثم التونسيّة التي تحتلّ المرتبة الثالثة.

---

[١٣٩] - من حديث الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالجالية المغربية المقيمة بالخارج، محمد عامر، الأحد ١٠ نيسان/ أبريل ٢٠١١ في ألمانيا أثناء لقائه مع الجالية المغربية. http://www.hespress.com/

[١٤٠] - ينص الفصل ١٦ من الدستور على "تعمل المملكة على حماية الحقوق والمصالح المشروعة للمواطنين والمواطنات المغاربة المقيمين في الخارج، في إطار احترام القانون الدولي، والقوانين الجاري العمل بها في بلدان الاستقبال. كما تحرص على الحفاظ على الوشائج الإنسانية معهم، ولاسيما الثقافية منها، وتعمل على تنميتها وصيانة هويتهم الوطنية. تسهر الدولة على تقوية مساهمتهم في تنمية وطنهم المغرب، وكذا على تمتين أواصر الصداقة والتعاون مع حكومات ومجتمعات البلدان المقيمين بها، أو التي يعتبرون من مواطنيها." ويشير الفصل ١٧ إلى "يتمتع المغاربة المقيمون في الخارج بحقوق المواطنة الكاملة، بما فيها حق التصويت والترشيح في الانتخابات. ويمكنهم تقديم ترشيحاتهم للانتخابات على مستوى اللوائح والدوائر الانتخابية، المحلية والجهوية والوطنية. ويحدد القانون المعايير الخاصة بالأهلية للانتخابات وحالات التنافي. كما يحدد شروط وكيفيات الممارسة الفعلية لحق التصويت وحق الترشيح، انطلاقا من بلدان الإقامة." ويذكر الفصل ١٨ "تعمل السلطات العمومية على ضمان أوسع مشاركة ممكنة للمغاربة المقيمين في الخارج، في المؤسسات الاستشارية، وهيئات الحكومة الجيدة، التي يحدثها الدستور أو القانون." المصدر: "مسودة مشروع الدستور الجديد"، صحيفة الاتحاد الاشتراكي المغربية، حزيران/ يونيو ١٨/ ١٩، ٢٠١١.

وقد شهد المغرب، منذ بداية القرن الماضي، هجرة العمالة إلى أوروبا، لكنها كانت بأعداد قليلة. ولكن وخلال النّصف الثاني من القرن، أصبح المغرب واحدًا من الدول الرئيسة المصدّرة للعمالة، وظلّت فرنسا لفترة طويلة تمثّل مركز الجذب الأوّل للهجرة.

هناك العديد من الأسباب الدافعة للهجرة، يحتلّ الاستعمار مقدّمتها، وما نتج عنه من الاستيلاء على الأراضي الزراعية الخصبة، وتحطيم البنى الاجتماعية التقليدية وعدم إدماجها بالبنى الحديثة، والطلب على اليد العاملة في أوروبا الغربية.

والملاحظ أنه بعد استقلال هذه البلدان ازدادت الهجرة منها، وامتدّت إلى بلدان أخرى غير فرنسا، مثل بلجيكا وألمانيا وهولندا وإسبانيا وإيطاليا. كذلك، فإنّ ارتفاع نسب البطالة الناتج من عدم التّوازن بين التنمية الاجتماعية–الاقتصاديّة التي ظلّت متعثّرة والنموّ السكّاني المرتفع.

ارتفع عدد المغاربة في هولندا سريعًا منذ عام ١٩٧١، ونتيجة تباطؤ ومن ثمّ توقّف هجرة العمالة تقريبًا، أدّى ذلك إلى ارتفاع نسبة الجيل الثاني مقارنة بالجيل الأوّل. وهذا يعني أنّ نموّ المهاجرين بات يعتمد أساسًا على الزيادة الطبيعيّة وعلى جمع شمل الأسر أو الزّواج من المغرب، بعد أن كان يعتمد بشكل رئيس على المهاجرين الجدد.

ينحدر أغلب مهاجري الجيل الأوّل إلى هولندا من منطقة الريف في شمال المغرب، حيث تأتي ثلاثة أقاليم في القمّة هي: الناظور، والحسيمة، وتطوان. وينحدر قسمٌ كبيرٌ أيضًا من إقليم تازة، ومن المناطق ما بين جبال الرّيف والأطلس المتوسّط، ومن أقاليم ومدن كبيرة مثل: ورزازات، وطنجة، والدار البيضاء، ومكناس، وفاس، ومراكش، والرّباط.

وبسبب أنّ معظم منطقة الرّيف كانت تحت الحماية الإسبانيّة، فإنّ تيّار الهجرة منها أظهر اتّجاها مختلفًا جدًّا عن ذلك الذي انطلق من المغرب، والذي كان واقعًا تحت الحماية الفرنسيّة آنذاك، لذلك تركّز توجّه الهجرة من الرّيف نسبيًّا نحو هولندا وبلجيكا وألمانيا والسّويد ومن الثّمانينيّات نحو إسبانيا.

يقطن غالبيّة المغاربة في المدن الأربع الكبرى، مثل الجاليات غير الغربية مع وجود تباينات في النّسب. ويفسّر هذا النّمط كون المغاربة عمالة مهاجرة بالأساس مثل الأتراك ولهذا فإنّ فرص العمل تستقطبها والتي توجد أكثر في هذه المدن.

تظهر البنية العمريّة للمغاربة أنّ نسبة الأطفال تحت عمر ١٩ سنة أعلى بشكل لافت مقارنة مع الهولنديين الأصليين، وأعلى من الأتراك والعراقيين، ولهذا تكون نسبة الأشخاص في سوق العمل أقلّ مقارنة بالمجموعات الأخرى، وتبلغ نسبة الجنس للمغاربة و للأتراك ١٠٦، ولا تزال تعدّ مرتفعة نسبيًّا، وستنخفض إلى ٩٧ و٩٨ على التّوالي.

إنّ تحليل تطوّر معدّل الخصوبة يشير إلى انخفاضه رغم بقائه مرتفعًا مقارنة مع الجاليات الأخرى، ومن أسبابه ارتفاع متوسّط عمر المرأة عند ولادة طفلها الأوّل للجيل الأوّل من النّساء وأكثر للجيل الثاني. ويعدّ هذا أحد المؤشّرات المهمة كون هذا الجيل أكثر اندماجًا بالمجتمع المضيف.

يشير تطوّر معدّل وفيات المغاربة إلى انخفاضه كثيرًا مثل كلّ الجاليات غير الغربيّة، ومع هذا يبقى دائمًا أعلى وسط المغاربة والجاليات غير الغربيّة بشكل عام مقارنة بالهولنديّين الأصليّين.

إنَّ غالبية المغاربة من المتزوّجين ويماثلهم بذلك الأتراك، لكن النّسبة تنخفض وسط العراقيين ويعود ذلك إلى أنَّ المغاربة والأتراك هم في الأساس عمالة مهاجرة، أمّا العراقيّون فجميعهم تقريبا جاءوا لاجئين.

ويكون مستوى التحصيل الدراسيّ منخفضًا وسط المغاربة والأتراك مقارنة مع السوريناميين والأنتيليين. أمّا الجيل الثاني في عمر ٢٥-٣٤، فيكون تحصيله الدراسيّ أعلى مقارنة مع نفس الفئة العمريّة من الجيل الأوّل، إنّ انخفاض مستوى التعليم حالة عامّة يشترك فيها معظم المهاجرين المغاربة في الدول الأوروبيّة وتنطبق أكثر على الجيل الأوّل وبالأخصّ في بدايات الهجرة الكثيفة في الستينيّات، وهذا يمكن تفسيره بتخلّف البنية الاجتماعيّة والاقتصادية لمناطق الأصل وانخفاض المستوى التعليميّ للوالدين.

ويتبيّن أنّ العمالة المغربيّة، أكثر خبرة مهنيًّا مقارنة بالمهاجرين القادمين من الدّول العربيّة الأخرى، نتيجة لطول تاريخ هجرتهم. ويحصل الكثير منهم، وخاصّة ممّن تلقّى تعليما هولنديّا على فرص عمل في مختلف القطاعات الاقتصاديّة، ومع ذلك فإنّهم، مقارنة بالجاليات غير الغربيّة والهولنديين الأصليّين، أقلّ مشاركة في

سوق العمل، وينخفض الدّخل السنويّ للمغاربة المتزوّجين ولديهم أطفال بنسبة نحو ٣٠% مقارنة بالهولنديين، ويعود ذلك إلى ضعف بنيتهم المهنية والتعليمية وخاصّة الجيل الأوّل.

شهدت تحويلات المغاربة من الخارج نموًّا مستمرّا منذ عام ١٩٧٠، لتتراجع عام ٢٠٠٩ بسبب الأزمة المالية العالمية. وتشكّل التحويلات من فرنسا وبلجيكا وهولندا ٥٠% من المجموع. وتظلّ التحويلات مؤشّرًا على الارتباط الوثيق بين المهاجرين وبلدهم. أمّا العلاقة بين التحويلات والتنمية في المغرب فيبدو أنّ أغلبها يتم الاستفادة منها في دعم الاستهلاك والاستثمار في العقار والقليل يوجّه مباشرة للمشاريع الإنتاجية. وساهمت الهجرة ولو لفترة محدودة في التّخفيف من حدّة البطالة علاوةً على أنّ تحويلات المهاجرين ومدخراتهم من العملة الصّعبة أصبحت تمثّل موردا هامّا لخزينة الدولة. ويفترض أن يتمّ التّركيز على استثمار الجزء الأكبر من التّحويلات في القطاع الإنتاجيّ الذي يخلق بدوره المزيد من فرص العمل ويدعم قوّة الاقتصاد. توجد علاقة ذات حدّين بين الهجرة والتّنمية فهناك علاقة إيجابيّة وأخرى سلبيّة: حيث يمكن للهجرة أن تكون سببا ونتيجة للتخلّف في الوقت نفسه بينما يزداد التخلّف أو يقلّ نتيجة الهجرة. ويشكّ أحيانا في الدور الإيجابيّ للتّحويلات في عملية التنمية وذلك لما تخلّفه من حالة الاعتماد عليها خاصّة عندما ترتفع نسبتها من النّاتج المحلّي الإجماليّ كما في المغرب. لكن معوقات التّنمية تكمن في أسبابٍ أخرى تتعلّق بضعف البنية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة.

لقد ساهمت الهجرة في تطوّر المجال الحضري كما في حالة مدينة الناظور في شمال المغرب، حيث بدأت المدينة تتوسّع من الوسط نتيجة التحوّلات التي طرأت على الظروف الاجتماعية – الاقتصاديّة لسكّان المدينة بفعل تدفّق الهجرة بشكل كثيف والاندماج في تيارات الهجرة الدولية ومن ثمّ تدفّق أموال الهجرة وإقامة سلسلة من المشاريع الاقتصاديّة الكبرى المهمة.

ومن ناحية الاندماج في المجتمع الهولنديّ، يلاحظ أنّ كثيرًا من علاقاتِ المغاربة عميقة فيما بينهم تمامًا مثل الأتراك، أمّا الجيل الثاني فيكون اندماجه أقلّ مع مجموعته الأصلية. وبات الوجود المغربيّ يساهم في تشكيل واقع المجتمع الهولنديّ من كلّ جوانبه، لكن مع ذلك، لايزال الاندماج ضعيفًا ويبقى قضية إشكالية مطروحة للنّقاش، فهناك عوائق عديدة تحُول دون سرعة الاندماج، منها تباين الخلفيّة الدينية والثقافيّة والحضاريّة والإرث الاستعماريّ للدّول المستقبلة للمهاجرين.

تشجّع الحكومة المغربيّة الهجرة إلى الخارج، وموقفها يعود إلى سياستها التي ترى أنّ إيجابيّات الهجرة أكثر من سلبيّاتها. ويبقى المغرب في حاجة إلى تبنّي سياسات مدروسة وعمليّة لدمج الهجرة بالتّنمية الاجتماعيّة – الاقتصاديّة من خلال وضع خطط على المدى القريب والبعيد لاستثمار العائدات المتأتّية من المهاجرين في القطاع الإنتاجيّ من الاقتصاد.

المصادر والمراجع

أوّلا: المصادر والمراجع باللّغة العربيّة

١. أحمد البكاي، **وضعية الطفل المغربي في المهجر: هولندا نموذجا**، (الرباط، مطبعة إليت، ١٩٩٤)،

٢. الإسكوا، **سياسات الهجرة والسكان في المنطقة العربية**، (نيويورك، الأمم المتحدة ٢٠٠١)

٣. الأمم المتحدة، "تقرير ورشة عمل إقليمية حول إحصاءات الهجرة الدولية"، (القاهرة، ٣٠ حزيران (يونيو) – ٣ تموز/يوليو، (٢٠٠٩).

٤. التجاني بولعوالي، **المسلمون في الغرب بين تناقضات الواقع وتحديات المستقبل**، ط ١، (القاهرة، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦).

٥. جميلة السعيدي، "التوسع الحضري وأشكال استغلال المجال: نموذج مدينة الناظور"، **مجلة جغرافية المغرب**، المجلد ٢٤، عدد ١-٢ ، فبراير (٢٠٠٨)، ص ١١١-١٢٧.

٦. حسن قرنفل، "مجانية التعليم العالي وهجرة الأدمغة"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد ٨ -٩، (٢٠٠٤)، ص ١٥٩-١٧٧.

٧. حميد الهاشمي، **العرب وهولندا الأحوال الاجتماعية للمهاجرين العرب في هولندا**، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ، ٢٠٠٨).

٨. خالد الوحيشي، **الهجرة والأسرة: حالة البلدان العربية المرسلة للعمالة**،(١٩٩٨).

٩. سهيل الزين، "محددات هجرة اليد العاملة إلى أوروبا"، **مجلة الوحدة**، العدد ٨، (١٩٨٥). ص ٦٣-٦٤.

١٠. صالح ياسر حسن، **العلاقات الاقتصادية الدولية، الابستمولوجيا، الأنطولوجيا، الأكسيولوجيا**، (بغداد، دار الرواد للطباعة والنشر، ٢٠٠٦).

١١. عبد اللطيف جمال وإسماعيل خياطي، "التزايد الديمغرافي والتحول الزراعي بإقليم دكالة"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، ٤، (١٩٩٩).، ص ١١٧-١٣٣.

١٢. عبد الله البارودي، **المغرب الإمبريالية والهجرة**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩).

١٣. عثمان البهالي، **الكفاءات العلمية المغربية بالخارج بلجيكا كنموذج**، ط ١، (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ٢٠١٠)،

١٤. غربال وآخرون، "حول الهجرة العربية إلى أوروبا بعض الملاحظات الاجتماعية والسياسية"، **مجلة الوحدة**، العدد ٨، أيار/ مايو (١٩٨٥)، ٤٩-٥٤.

١٥. محمد عارف، "حركة الكفاءات العربية، الإقليمية والدولية"، **مجلة المستقبل العربي**، العدد ٣٧٧ تموز / يوليو، (٢٠١٠)، ص٣٩-٥٤.

١٦. محمد الأمين فارس، **تحويلات العمال المهاجرين إلى المنطقة العربية السمات والآثار**، (بيروت: الأمم المتحدة، ٢٠٠٦).

١٧. محمد بنعتو، "سيدي أفني: إشكالية الموارد البشرية والهجرة السرية"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية "فكر"**، ٤، (٢٠٠٧)، ١١-٣٥.

١٨. محمد الخشاني (إعداد)، **التحويلات المالية للمهاجرين وأثرها على التنمية في بلدان المغرب العربي الثلاث: المغرب، الجزائر، تونس**، (بيروت: الأمم المتحدة ، ٢٠٠٦).

١٩. محمد الدهان، "جاك بيرك والمغرب"، **المجلة العربية لعلم الاجتماع "إضافات"**،٧، (٢٠٠٩)، ص ٥٣-٦٩.

٢٠. محمد رفيق وعبد الغنيّ كرطيط، "الجفاف في المناطق المجاورة لفاس: الانعكاسات وتدهور المنظومة البيئية بهوامش المدار الحضري والأخطار الناجمة عنها"، **مجلة البحث العلمي**، عدد ٥٣ يونيو، (٢٠١٠)، ص ٤١- ٦٥.

٢١. هاشم نعمة فياض، **أفريقيا: دراسة في حركات الهجرة السكانية**، (ليبيا: مركز البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٩٢).

٢٢. هاشم نعمة فياض، **العراق: دراسات في الهجرة السكانية الخارجية**، (بغداد: دار الرواد للطباعة والنشر، ٢٠٠٦).

٢٣. هاشم نعمة فياض، **الهجرة الدولية والتنمية الاجتماعية-الاقتصادية**، (المغرب: منشورات مقاربات، ٢٠٠٩).

٢٤. الهجرة الدولية والتنمية، انطباعات وخبرات المنظمة الدولية للهجرة، (جنيف: IOM، ٢٠٠٦)

٢٥. ويل كيمليكا، **أوديسا التعددية الثقافية سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، ٢٠١١).

ثانيا: المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

1. CBS, *Allochtonen in Nedeland*, 2004.
2. CBS, *Bevolkingstrends*, 3e Kwartaal, Holland, 2003
3. CBS, *Bevolkingstrends*, 4e Kwartaal, Holland, 2007.
4. CBS, *Bevolkingstrends*, 4e kwartaal, Holland, 2009.
5. CBS, *Bevolkingstrends*, 4e Kwartaal, Holland, 2010,
6. CBS, *Bevolkingstrends*, May, Holland, 2006.
7. CBS, *Jaarrapport Integratie*, Holland,2010.
8. CBS, *Jaarrapport Integratie*, Holland, 2008.
9. CBS, *Jaarraport Integratie bijlage*, Holland, 2008
10. CBS, *Persbericht,* Holland, 4 Februari 2010.
11. Bernard F. et al., Bernard F. et al., "The recent Fast Upsurge of Immigrants in Spain and Occupational Attainment", *International Migration*, vol. 49 (1) 2011. (148- 187)
12. Edward J.Taylor, *International Migration and Economic Development*, (Italy: UN , 2006).

13. Fullin G. and Reyneri E. , "Lower Unemployment and Bad Jobs for New Immigrants in Italy", *International Migration*, vol. 49 (1) 2011. (118-147)

14. Hashim N. Fayad, "The Spatio-Temporal Processes of Morocco's Population", Ph.D. Dissertation, Budapest, 1988.

15. Hein de Haas, "Morocco's Migration transition: Trends, determinants and future scenarios", *Nijmegen*, Centre for International Development Issues, 2005.

16. Karen Phalet, et la.," Moslim in Nederland", *Den Haag*, Sociaal en Cultureel Planbureau, 2004.

17. Joop Garssen en Coen van Duin, *Bevolkingstrends*, 2e Kwartaal, CBS, 2009,

18. Jorgen Carling, "Unauthorized Migration from Africa to Spain", *International Migration*, Vol. 45 (4) 2007. (3-33)

19. Louka T. Katseli et al, *Effects of Migration on Sending Countries: What Do We Know?*(Italy: 2006).

20. Neil MacMaster, *Colonial Migrants and Racism: Algerians in France, 1900-1962*, (New York: Macmillan Press, 1997).

21. Peter Nijkamp, et al, *Journal of Economic and Social Geography*, Vol. 101, No. 4, 2010. (pp. 371-391)

22. Phillip Martin et al, "High-Level Dialogue on Migration and Development", *International Migration*, Vol. 45 (1) 2007.

23. Richard H. Adams, Jr., Migration, *Remittances and development: The Critical Nexus in the Middle East and North Africa*, Beirut, UN, 2006.

24. Seben Akcapar, "Do Brain Really Going Down the Drain, *Revue Européenne des Migrations Internationales*, Vol. 22, No. 3, 2006.

25. Siew-Ean Khool et al, "Temporary Skilled Migration to Australia: Employers' Perspectives", *International Migration*, Vol. 45 (4) 2007

26. Tineke Fokkema et al, "Herkomst en vestiging van de eerste generatie Marokkanen in Nederland", *Bevolkingstrends*, 3e Kwartaal/ 2009, CBS.

27. Ulrike Schuerkens, "Transnational Migrations and Social Transformations: A Theoretical Perspective", *Current Sociology*, July, Vol. 53(4), 2005.

28. UN, *African Statistical Yearbook 2010*, New York.

29.UN, *International Migration Repot 2006: a Global Assessment*.

30.UN, *World Population Policies 2009*, (New York: 2010).